R

Princeton University Library
32101 058247691

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

السبطان في موقفيهما

احمد يار

بقلم

سيد العلماء آية العلم والتحقيق والديانة
الحاج السيد علي نقي النقوي

لكنهو ـ هندوستان

Naqawi

السبطان في موقفيهما

بقلم

سيد العلماء آية العلم والتحقيق والديانة

الحاج السيد علي نقي النقوي

([redacted]) (RECAP)
BP192
.6
.N362
1988

الكتاب : السبطان في موقفيهما

المؤلف : السيد علي نقي النقوي

الناشر : مكتبة الداوري ـ قم ـ ايران

المطبعة : سيد الشهداء عليه السلام ـ قم

الطبع : الاولى

الكمية : ١٠٠٠

تاريخ الطبع : ١٤٠٩ هـ

السعر : ٥٠ توماناً

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>
[redacted]
32101 024937557

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه وسيد رسله وخاتم أنبيائه وصفوة سفرائه سيدنا ونبينا وجدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين صلواة خالدة وسلاماً دائماً باقياً الى يوم لقائه .

وبعد فقد طلب مني من ليس في وسعي رده ان أكتب كلمة يجعلها الناشر «مطلعاً» لكتاب (السبطان في موقفيهما) وكم من الصعب علي أن ألخص ماأعرفه من صديقي وزميلي وأخي الاكبر مني سناً ومقاماً يم العلم الخضم وطوده الاشم المحقق الناقد آية الله السيد علينقي اللكنهوي «رضوان الله عليه» فقد تزاملنا سنين عديدة يوم كنا نحضر مجالس العلم ودروس الاساتذة الاساطين كشيخنا النائيني وسيدنا الاصفهاني الذي انتهت اليه رئاسة الامامية في عصره والاستاد العراقي وغيرهم «طيب الله مضاجعهم» وكان سيدنا النقوي من ألمع شخصيات تلك الجامعة العظمى النجفية الطيبة التي اعتز وأفتخر بأنى كنت أحدها . وقد منحه الله تعالى الذكاء التام والفكرة الثاقبة والذاكرة الواعية فقهاً واصولا وتفسيراً وكلاماً وقدساً وتقوى وكنا نتوقد من محياه الطاهر النبوغ يوماً فيوم .

وقد كان مضافاً الى تلك المفاخر والمعالي أديباً عالماً بالعربية بصيراً محيطاً بعلومها وآدابها كاتباً لامعاً وشاعراً مبدعاً يكتب المقالات الرصينة فيعجب به أدباء العربية يومذاك وكتابها وينظم الشعر البديع في شئون وفنون يجاري به شعراء عصره في النجف الاشرف فيستمعون اليه ويستعيدونه منه اعجاباً وتقديراً .

وهذا السفر الجليل الذي هو أثر بارع من جملة آثار سيدنا النقوي التي تجاوزت المائة بكثير كتاباً ورسالة ومقالا درس فيه الجانب السياسي من حياة امامي الهدى وسبطي الرحمة وسيدي شباب أهل الجنة ريحانتي الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه وعليهما دراسة مقارنة، ذلك الجانب الذي يتصل بموقفيتهما التامة البالغة درس قيامهما عندما كان الامر الالهي المنبعث عن عهده سبحانه وتعالى لهما بالامامة قاما أو قعدا يلزمهما بالقيام ومناهضة الخصام زماناً وتناول قعودهما حين أمرهما الله تعالى بالقعود .

وبدأ دراسته بمن تقدمهما من حجج الله تعالى وأولهم بتمام معانيه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وبعده امامنا امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام في مرحلتي قعودهما حينما كانت الظروف مؤاتية لذلك والمناهضة حينما كانت المصلحة الالهيه تقتضيهما .

والخلاصة ان بهذا الكتاب الجليل والاثر النفيس وان كان صغيراً حجمه نسبة ولكنه فاق كثيراً من المطولات في معناه ومغزاه ومحتواه . ومن أهم ميزاته ـ وان كانت كلها هامة ـ ان سيدنا النقوي «طاب مضجعه الشريف» تناول فيه الرأي الذي ذكره سيدنا الشريف المرتضى علم الهدى قدس سره العزيز في الدفاع عن مهادنة السبط الاكبر عليه السلام لمعاوية واباء أخيه سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه عن البيعة لابنه ذلك الرأي الذي أعيى فهمه ودركه جماً غفيراً لما فيه من نقاط الابهام والالتباس وجوانب قصور واشتباه وحدث على أساسه في عصرنا ان (ظهرت حسكة

النفاق ونطق كاظم الغاوين واطلع الشيطان رأسه من مغرزه) في ضلال كثير وخداع وتضليل اكثر نكتفي من ذكره بهذه الاشارة العابرة .

فقد تناول سيدنا النقوي رأي الشريف المرتضى «ره» هـذا دراسة من شتى جوانبه وناقشه مناقشة علميه مستوعبه لاتبقى بعدها مجالا لاستغلال المنافقين وكيد أعداء الدين ولعل هذا السفر الغالي القيم كان الخاتمة المشرفة لتلك السلسلة الطويلة من جهاد سيدنا النقوي أسكنه الله عزوجل بحبوحات جنانه في الدفاع عن الاسلام والمسلمين والرد على كيد المنافقين وأعداء أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم اجمعين .

رضي الله عنه وأرضاه وجعل الله الجنة ومرافقة آبائه الطاهرين الائمة الميامين مقره ومأويه والحقنا به انه خير المسئولين واوسع المعطين ونعم المولى وياحبذا النصير ٦ شوال المكرم ١٤٠٨ العبد الضعيف الفاني أحمد الحسيني الغروي المرعشي الشهرستاني .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين المعصومين واللعنة الدائمة على اعدائهم أجمعين الى يوم الدين .

توطئة وتمهيد

مزية الانسان الخاصة به هي عدله واعتداله، فان غيره من سائر أنواع الكيان تصدر آثاره بتبع الجبلة الخارجة من حبطة الاختيار .

فالنار محرقة بالطبع ، والماء يطفيء الحرارة كذلك ، والورد يروح بطيب اريجه ، والشوكة تؤذي وقد تدمي ، والاسد يفترس ، والكلب يلهث ، والثعلب يراوغ، والحية تلسع ، والعقرب يلدغ ، كل ذلك بخاصة الطبع التي قد يصدر عنهاما يمدح وقد يصدر ما يذم وليس للاختيار في كل ذلك مدخل ، فلا يشكر ولا يلام ولكن الانسان مع مابـه من الدواعي الجبلية لـه عقل يحكم بمصالح الحكم ومرافق النظام وبه ابتلاؤه في مواقف المتحركات .

فمهما اتبع النزعات من دون نظر الى جهات الحكم كانت أعماله على جري الطبيعة الحيوانية السافلة التي تفضي به الى أسفل سافلين وهو اتباع الهوى والشيطان ومهما اتبع العقل والبصيرة الحكيمة وجعـل أفعاله على طبق مصلحة النظام كان هو العمل الانساني الصاعد به الى أعلى عليين وكان هـو ابتغاء مرضاة الرحمن الذي لا يأمر الا بالعدل والاحسان ولا ينهى الا عن البغي والفحشاء والعدوان .

وعامة أفـراد الانسان تختلف باختلاف الطباع فبعضها البارد الرطب بطيء

التلهب وهو الحليم بالطبع الذي لايغضب حتى اذا تهيأت الاسباب للغضب وبعضها الحار المشتعل بأدنى حرارة وهو الغضبان الشديد الغضب وما يصدر عن كل واحد منهما من الافعال قد يكون ممدوحاً متصفاً بالحسن لمصادفة قضية طبعه لقضية الحكمة كما اذا تسبب من ثورانه دفع مظلمة للظالم وانتصار المظلوم أو صادف ذلك الحليم موقعا يكون الاقدام فيه مثيرا للفتنة السيئة العواقب فبقي هادئاً على مقتضى طبعه وان لم يكن من الحلم الذي هو الخلق الانساني في شيء.

وأية ذلك أنه ربما يسكن في موضع تقتضي الحكمة فيه الاقدام والنهضة فيكون هدوؤه اخلالا بالمفترض بغت في ساعد اصلاح النظام وذلك لان هدوءه لم يكن بالنظر الى حكمة تقتضيه وانما كان لمقتضى الطبيعة فيه فهو ليس حليما بحسب الاخلاق الانسانية.

كما كان الامر كذلك فيما اذا صادف ذلك الغضبان موقفاً تدعو الحكمة فيه الى القيام والاقدام فينهض على مقتضى طبعه الهياج فيحمده الناس بالشجاعة وليس من الشجاعة التي هي من الاخلاق الجميلة في شيء وآية أن يتفق ابتلاؤه بموضع تجتمع فيه أسباب الغضب ولكن يكون القيام فيه مضراً بالمصلحة.

فهو بطبع غضبه يقذف الشرر والجمر من لسانه أو حسامه حسبما تمكنه الظروف والاحوال فحق له أن يوصف بالجرأة والحماس ولكن شتان بينه وبين الشجاعة التي مقتضاها القيام على ما تقتضيه حكمة النظام ولكن الانسان الحكيم بحسب فضيلة أخلاقه اللائقة به وان يكن بحسب طبعه بطيء الغضب أو سريعه.

ولكن حاشاه أن يكون عمله بقضية الطبع ليس الا. بل تكون انما أعماله بمقتضى الحكمة أجلد للفريضة المثقلة على عاتقه فهو يحلم اذا كانت الحكمة في الهدوء والسكون ولو كانت عاصفة الغضب تهزه للقيام ولكنه الجبل الذي لا تتحركه العواصف ولاتزلزله القواصف ويقوم غضبان اذا كانت الحكمة في المقاومة والقيام وان كانت محبة النفس والاهل والمال والولد ومحبة العيش والطمأنينة والدعة

كسائر أفراد البشر تتجاذب أذياله الى التقاعس حسبما كان أمامه من الشدائد والاهوال ولكنه الشاري نفسه وكل ما لديه لابتغاء مرضاة الله .

فلا ينظر ثمة الى حائل وحاجز أو جاذب ومنازع ويقدم حيث يسمع صراخ الدين، صراخ البشرية وصراخ النظام العالمي ويسمع الدعوة الالهية فيجيب بكل قواه ومثل هذا الانسان هو العدل الحكيم الذي لا تكون أعماله بمقتضى الطبيعة الحيوانية بل على حسبما تدعو اليه الحكمة والمصلحة .

وحيث ان الغالب في أفراد البشر هو الانحطاط عن درجة الفضيلة فالافراد الفاضلة من الانسان (وقليل ما هم) لاينجو أحد منهم من ابتلاء بمن ينتقد عليه من جانبين .

فبعض يعترض على سكونه في بعض مواقف الغضب فيرميه (وحاشاه) بالجبن والذلة وبعض يعترض على اقدامه في موقف آخر فيرميه (وحاشاه) بالتسرع والتهور ولكنه في موقفي صلحه وحربه لايزال ثابتاً على سبيله غير مكترث بملامة لائم وعتب عاتب اهتماماً بما بين يديه من الحكمة العظيمة والنتيجة الجسيمة المتعالية عن أفهام هؤلاء الهمج الرعاع أو الاوساط من الناس المنتقدين عليه، وأكثر الناس من ينظر اليه من سمت واحد من سمتى حيوته فيقع في الخطأ والضلال في الحكم عليه والعاقل كل العاقل من نظر اليه من السمتين معا فيقف على نقطة العدل التي هي بين الافراط والتفريط .

النبى الاعظم فى موقفى قعوده وقيامه

قام سيد الانبياء محمد المصطفى ﷺ يصحر بحقيقة التوحيد بين أبناء قومه الوثنيين فأصبحوا البأ واحداً عليه يتربصون به الدوائر ويؤذونه ويهينونه بماشاءت لهم الطباع الرذيلة فلم يزل على ذلك كله صابراً محتسباً كاظما غيظه لايتحرك

ولا يحرك ساكنا طيلة ثلاث عشر سنين .

الى أن اجتمع رأي ملاهم على أن يزهقوا روحه ويسفكوا دمه في ليلة قرروها لذلك ونهى نبأ اجماعهم على ذلك الى سمعه أو فؤاده فلم يستعد لمقاومتهم بشيء من جهده بل اختار الخروج من تلك البلدة متخفياً عن أهلها .

فالذي ينظر الى سيرته في هذه المدة الطويلة الى حين خروجه هكذا متخفياً، هل يظن أو يتصور الا أن هذا الشخص لـه مبدأ سلمي لايستسيغ الحرب في حـال من الاحوال فلايزال جانحاً الى القعود لايستفزه للقيام أي محرك وينظر الى خروجه هذا من بلده فلا يجعله من الحماس وما يرجع الى صفة الشجاعة في مكان .

هذا اذا نظر الى هذه القطعة من حياته الشريفة بحيالها وحدها ولكن لايمضى بعد ذلك كثير حتى يرى ذلك الانسان نفسه وهو يقود الجيوش ويجهز العساكر وهو الخائض في الغمرات في حومة الحرب يدير رحاها بجد لا يعرف الملل وحـد لا يوصم بالفلل وليست زعامته للجهاد بأن يبعث العساكر الى المواقف المهولة ويبقى هو مختبئا في بيته . كلا .

نعم انه بعث السرايا في المواقف الضئيلة الغير المهمة، وأما الحروب المهمة كبدر وأحد وخيبر والاحزاب فقد كان في كلها حاضراً بشخصه في مشتجر الرماح ومعترك المنايا وقد يرى خلي البال ان ذلك في حياطة العساكر من المسلمين من حوله ثقة بحراستهم وصونهم اياه .

كـلا وألف كلا ولقد شوهد موقف بأحد حين أحمر الباس وحمى الوطيس ودارت الدائرة على المسلمين بحيث انهزم جل من حوله منهم سوى واحد أو اثنين ولكن ذلك الرجل الذي قد شوهد قبل حين أنه قد خلى الدار والوطن ابتغاء للعافية.

ها هو مشاهد الان فـي معرض العيان أنه في مثل هذا الموقف مـع سوء المنظر وخـذلان القوم وهجـوم الاعادي حيث يرى أشباح المنايا نصب عينيه

ويحس بوخزات القواتل في جوانحه لا يحجم ولا يجول ولا يحول من مكانه حتى قيد خطوة بل لايبرح كالقطب في موضعه حتى انجلت غبرة الكوارث وهو نقي الذيل عن شأنه الوهن والفشل .

فلايبقى بعد ذلك ريب في أنه الشجاع القرم الذي ليس له ند في ثبات الجأش وطمأنينة النفس فهل يبقى الأن خروجه من البلد يوم خرج مخافة الموت لم يكن من مخافة الموت لشخصه وحب العافية للنفس بل للابقاء على تلك المآرب والمبادىء القيمة التي كان زعيماً بقضائها وابلاغها وبثها في المجتمع البشري فلاجلها كان ذلك الخروج .

ولاجلها اليوم هذا الجهاد وهذه المثابرة فليس ذلك ولاهذا من قضية الطباع بل من مقتضى الصلاح ورعاية الواجب .

وقد ينظر المسيحيون الى هذه القطعة من حياته فيمثلونه على شكل الفاتك المغوار لايرده شيء عن ذلك ويصمون الاسلام بأنه نشر بالسيف ويا ليت شعري من اين اتى ذلك السيف الذي نشر به الاسلام ؟ .

أريد بهذا ان ذلك الوحيد الذي خذله القوم حتى أجلوه عن البلد الحرام لو لم يكن قد جذب اليه بسطوة الحق والبرهان من أصبحوا له أنصارا[1] يوم الطعان كيف يستطيع أن يقوم شاهراً للسيف تجاه اهل العدوان .

فهؤلاء الذين قد اجتمعوا حوله في مبادىء امره وحسن عملهم في البدأ والختام ليسوا نتائج السيف والجهاد واذاً فلامناص من أن يعترف بأن لديه وراء ذلك السيف الابيض الصقيل الذي يرى وميضه لاعين الابصار سيفا آخر ذاحد ومضاء وذلك الذي يقطع وتين الكفر دون الكافر ويقضي على الاهواء دون الاجسام.

---

(١) لاأريد بالانصار المعنى الاصطلاحى الذى يقابل المهاجرين بل الذين نصروه سواء كانوا من المهاجرين أو الانصار .

ذلك هو الحق الناصع الذي يراه ذوو البصائر فينحازون اليه طوعا لا كرها.

اولئك الذين بهم انتصر الحق في يوم بدر ، يوم دارت رحى الهيجاء بـانتهاض الاعداء للغزو على تلك الديار التي آوى اليها الرسول ﷺ فلولم يخرج اليهم لدخلوا عليه الديار وأهلكوا الحرث والنسل فخرج بمن معه دفاعا عن الحوزة وصيانة لديار الذين آووه من أهالي المدينة وكان من جراء هزيمة مناوئيه في غزوة أحد والاحزاب وكل ذلك في السنين المتوالية أن أصبح المسيحيون يفرزون هذه القطعة من التاريخ ويوهمون بذلك أنها كل حياة الرسول ﷺ فيحكمون بأنه أخ الحروب الذي لايجتنح الى السلام .

ولكن هلم أيها الناظر ريثما تنجلي هذه الغبرة من الحروب عن الحق وهو ناصع المحيا وعن رسول الحق وهو المنتصر الظافر قد دحر جيوش المزاحمة وهو حين ذاك يزم ركاب السفر الى مكة المشرفة تلك البلدة التي قد أخرج منها خائفاً مذعوراً وحواليه ، اولئك الحزب الغالبون في كل مشهد شهدوه وتجاهه ذلك الجمع المبدد المهزوم كرة بعد أولى ومرة بعد أخرى .

فهل يظن أو يحتمل بالنظر الى طبيعة الظفر وأخذ الثار ، الا انه سيدخل مكة رافعاً راية النصر راضاً بحوافر خيوله كلاكل اشلاء الخصوم مستأصلا شأفتهم بكل معنى الكلمة .

ولكنك ترى بالعيان مايعجبك ويدهشك وهو أنه حيث يرى المشركين قد أبوا دخوله في تلك البلدة الكريمة واستعدوا للمعارضة بما لديهم من الحول والطول قد رضي بالانصراف عاقداً معهم وثاق الصلح على الشرائط التي يراها المتحمسون من أصحابه تتضمن المذلة للمسلمين حتى وقع بعضهم في شك وارتياب وبلغ حداً حمله على التجاسر تجاه النبي ﷺ بمثل قول : الست نبيا ؟ ألسنا مؤمنين ؟ فلم نرضى بهذا الذل والعار ؟ .

ولكنه لايبرح ماضي العزيمة على عقد الصلح كمضائه على الحروب من قبل غير مكترث بعاتب أوخاذل، فماذاتقول في حق هذا الرجل ؟ أهو راغب في الحروب بطبعه ؟ فكيف يحتج الى السلم على هذه الشروط الظاهر منها لخلى البال سقوط القوى والوهن .

أم هو الميال بالطبع الى الدعة والعافية فكيف شب لظى المعارك وخاض غمار المهالك في تلك الحروب الجبارة ولامناص حينئذ من الاعتراف بانه ليس بهذا ولا ذلك لكنه الحكيم الذي يتبع جهات المصلحة ليس الا .

فما دامت الحكمة تقتضي الحرب يبقى محارباً ، واذا اقتضت الحكمة الصلح يعود مصالحاً ، رضيت بذلك النزعات والعواطف أوسخطت وأحب ذلك أصحاب الاهواء أو كرهوا .

امير المؤمنين علي «ع» في موقفي قعوده وقيامه

نشأ علي بن ابي طالب عليه السلام والاسلام في حال صباه والاعداء في جماح وطغيان والنبي صلى الله عليه وآله تحت ضغط واضطهاد .

وعلي عليه السلام ربيب حجره صلى الله عليه وآله لم يزل من قبل يتبعه اتباع الفصل اثر أمه وهو الان يتلوه شاهداً منه يحن اليه حنين الولد البار لابيه وهو بعيد ذلك في ريحان شبابه يرى رسول الله صلى الله عليه وآله يرضخ بالحجارة ويمس بأنواع من الاذى وهذا الشاب النشيط الذي سوف تراه وتعرفه في المعارك الدامية وهو وحده يهزم الجموع يبقى معه ساكناً ساكتاً لاتصدر عنه حركة تخرق سياج الامن والعافية .

فانظر ايها الناظر المنصف لو ترى هذه القطعة من حياته وهي عبارة عن عمره الى ثلاث وعشرين سنة هل كنت تظن أوتتوهم أن هذا الفتى لـه عاطفة وهاجـة لاتـرضى بالهوان ، وحماس حـربي لايستسيغ الاستسلام ، وجرأة في المعارك

لاتكترث بالالوف ، وخوض في الغمرات لايعبأ بالحتوف ؟ .

كلا وانما كنت تظن أنه حليم الطبع الذي لايهيجه الغضب ، والساكن الذي لاتحركه الزعازع أبداً ولكن :

اصبر قليلا للحق الهيجا حمل

انك لترى بعد ذلك عليا وتراه كذلك أطراف الارض وأطباق السماء أنه هو أخو الهيجاء .

انه هوفتى الاسلام الذي لافتى الاهو ولاسيف الاسيفه ذوالفقار حتى أنه يعود علامة النصر وسيماه نذير الموت لاقرانه .

نراه هكذا عشرة أعوام له فيها مواقف مشهودة ببدر وأحد وغزاة الاحزاب وخيبر وحنين الى غيرها من الغزوات والسرايا الى أن انتهت هذه المدة بوفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وعلي عليه السلام يومئذ ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وهو أوان كمال القوة في الجسد وتمام النشاط في الروح ، وله ساعد قد تمرن على هز السيف ، وسيف قد تعود حز الطلا ، وقلب جائش الحمى بأخذ الثارات .

ولكنه يدهش اللب ويحير اللبيب ان ذاك الذي لم يقعد طيلة عشر سنين متوالية قد آض ولايفتأ قاعداً في كسر بيته مشتملا شملة الجنين مدة خمس وعشرين سنة ، وفي هذه المدة كم شبت لظى الحروب باسم الجهاد الاسلامي وافتتحت بلاد القياصرة والاكاسرة وأصبح من لم يكن يعد عند نبي الاسلام في العير ولا النفير ، قائداً للعساكر الاسلامية والبطل الاعظم للاسلام لقبه الناس بلفظة «سيف الله» والذي كان هو سيف الله البتار بالحقيقة لايزال الان في غمده من غير ماحركة منحازا عن السياسة الملكية وراوده ذووا الاغراض للقيام بطلب حقه ولكنه جابههم بالرد العنيف وظهرت أمور تثير الغضب ولكنه لم يغضب .

وقضى في هذا السكوت الطويل مدة وادعه فيها الشباب وأطله زمن الشيب

زمن انحلال القوى ، حيث بلغ من العمر ثماني وخمسين ، فهل يرجى أو يخاف منه أن يقوم للحرب العوان بعد ماقضى شبيبته وربيع حياته في ضغط واضطهاد .

فبقى هادئا وفي عينه قذى وفي حلقه شجى، يرى تراثه نهبا، حتى عيره بذلك من لاحريجة له من الدين والشرف بقوله : كنت تقاد كما يقاد الجمل المخشوش.

فلم ينكر عليه في الجواب ثبوت هذه الحقيقة ، ولكنه قال : لعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت وأن تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً مالم يكن شاكاً في دينه ولامرتابا بيقينه[1] .

نعم لايظن بعد ذلك أن يقوم محارباً قط بقضية الطباع ، لكنك سوف تراه أيام الجمل وصفين والنهروان في معمعة الحرب وقعقعة السلاح وهو ، هو في بأسه وصولته وشدة شكيمته ورباطة جاشه وبيده ذلك السيف الذي شوهد وقعه في بدر وأحد والاحزاب وبذلك القلب يلقى عدوه لم تؤثر فيه الايام وهنا ولا الشيب وهاءاً.

فهل كان سكوته وقعوده في أوساط حياته طيلة ربع من القرن الا باضطرار الحكمة وقضاء المصلحة لالخوف من الموت أو خور في العزيمة وقد أوعز الى ذلك حيث قال : فان أقل ، يقولوا حرص على الملك، وان أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة .

وبذلك قد علم انه لم يكن قيامه يوم قام ولاقعوده أيام قعد على حكم العواطف والاميال بل انما كان على مايقتضيه الواجب الديني والامر الالهي .

---

(١) نهج البلاغة ط مصر ج ٢ ص ٢٤ ـ ٢٥ .

الحسنان لهما اسوة في سلفيهما

قد يتوهم البسطاء من الناس بايهام ذوي الاغراض والاهواء ان الحسن والحسين عليهما السلام كان بينهما تباين في الطباع، فكان الحسن عليه السلام بطبعه حليماً يحب السلم والدعة وكان الحسين عليه السلام بطبعه جريئاً ذا حماسة يميل الى النهضة والاقدام ومن ذلك صالح الحسن عليه السلام معاوية وناجز الحسين عليه السلام يزيد .

ويستأصل شأفة هذه المزعمة ماتلي عليك من سيرة جدهما النبي المصطفى وأبيهما علي المرتضى ، وقد رأيت فيهما مثالين : مثالا للصلح والسلام ومثالا للنهضة والاقدام .

فأبان ذلك لكل ذي عينين أن تطور العملين لاينحصر في أن يكون ناشئاً من اختلاف المبدأين أوالطبعين والالم يقع ذلك من شخص واحد بل قديكون ذلك ناشئاً من تفارق الظرفين واختلاف مقتضى الحكمة في الحالين .

فلماوجدنا من ذلك مثالا في كل من النبي والوصي صلوات الله عليهما، فلا بدع أن يقع ذلك من سليليهما عليهما السلام ، غاية ماهناك أن تطور الحال اتفق هناك في ظرفي حياة شخص واحد، فقعد تارة وقام أخرى. واتفق هنا في ظرفي حياتين لشخصين فقعد هذا وقام ذاك .

فلئن كان النبي صلى الله عليه وآله هو المقاتل في وقت والمسالم في آخر ولئن كان علي هو المسالم في حين والمناجز في آخر، فكن على يقين بأنه لو كان الحسن عليه السلام باقياً الى سنة احدى وستين لكان هو المحارب ليزيد مثل ماصالح هو معوية في سنة أربعين، ولو كان الحسين عليه السلام ولي الامر في سنة أربعين لصالح هو معوية في ذلك الوقت مثل ماحارب هو يزيد في سنة احدى وستين ، فليس ذلك من جهة اختلاف المبدأ ولا الطبع وانما هو من جهة اختلاف الظروف والاحوال .

سرد اخبار تاريخه تتعلق بالمقام

لماقبض أمير المؤمنين علي عليه السلام في الحادي والعشرين من شهر رمضان على أثر الضربة المشئومة التي ضربها ابن ملجم المرادي، قام الحسن المجتبى عليه السلام وكان متفجعاً بوفاة أبيه غاية التفجع .

فألقى خطبة بالجامع بأن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله، ثم قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الاقلون بعمل لقدكان يقاتل دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقيه بنفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايتـه فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، ولايرجع حتى يفتح الله على يديه ولقد توفي في الليلـة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم وفيها قبض يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام، وماخلف صفراء ولابيضاء .

الى أن خنقتـه العبرة فبكى وبكى الناس حولـه ثم ذكر فضله وفضل أهل البيت عليهم السلام فبايعه الناس بالخلافة طائعين، وذلك في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة فقام بالامر ورتب العمال وأقر الامراء ونظر في الامور ؛

وبينما المجتمع الديني مرتبز بفاجعة أمير المؤمنين، والحسن بن علي عليهما السلام لمايستتب أنظمة الامور، اذ بمعاوية بن أبي سفيان وهو مسيطر على أيالات الشام ومصر، أخذ في دس الدسائـس وتربص الدوائـر في البلاد التي هي الان تحت سلطان الحسن عليه السلام .

فدس رجلا من حمير الى الكوفة ورجلا من بني القين الى البصرة ليكتبا اليه بالاخبار ويفسدا على الحسن عليه السلام الامر فانكشف أمرهما، فاستخرج الحميري من عند لحام بالكوفة والقيني من عند بني سليم فكتب الحسن عليه السلام الى معاوية :

أما بعد فانك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء وما أوشك ذلك انشاء الله ، وبلغني انك شمت بما لم يشمت به ذو حجى وانما مثلك في ذلك كما قال الاول :

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تزود لاخرى مثلها فكان قد

فانا ومن قد مات منا كالذي ... يروح فيمسي في المبيت ليغتدي

فأجاب معاوية عن ذلك بما أجاب واختلفت بين الحسن ومعاوية مراسلات كثيرة .

وقد تسجل بذلك لكل ذي عين ان شنآن معاوية مع علي عليه السلام لم يكن مختصاً بشخصه والا لانتهى بوفاته وانما هي عداوة راسخة لاهل هذا البيت لاتتبدل بتبدل الاشخاص .

وقد ظهر أيضاً ان داخلية البلاد مما لا يوثق بها وفيها مأوى لرقباء العدو ، وعيونه ولئن انكشف الغطاء عن بعضهم فلا يؤمن أن يكون هناك غيرهما ممن لم يرفع الستار عنه .

وقد تجاهر أيضاً من كتاب الحسن عليه السلام أنه عازم على الجهاد فليس عنده في الحق من هو أحق .

نعم ان الحسن عليه السلام ليس على أمن من شئون بلاده وقد بان الشقاق فيما بينهم من بعد فتنة الخوارج وهناك رجال منضمون الى عسكره ولهم مع الخوارج صلات أكيدة من صداقة أو اشتراك سري في الاهواء والاراء .

وقد كان علي عليه السلام منضجراً من حبهم للفتن وتشعبهم والفوضى في نظامهم حتى أنه كان يتمنى الموت للتخلص من أيديهم ، وها هي خطبه عليه السلام المسطورة في كتب التاريخ وفي « نهج البلاغة » التي تدل على استيائه منهم وتألمه الروحي من أعمالهم :

(منها) قوله عليه السلام مخاطباً اياهم: لوددت انى لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندما ولقد ملأأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً .

(ومنها) أنه يقول: صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه ، لوددت والله أن يصارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فيأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم .

(ومنها) انه يقول : ان هؤلاء القوم (يعني أهل الشام) سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ومعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم بالباطل وبأدائهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم واصلاحهم في بلادهم وفسادكم ، فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته .

(ومنها) قوله عليه السلام: اذا أمرتكم بالسير اليهم في أيام الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر ، واذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر ، دعنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقر فأنتم من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال .

فهذه هي الجماعة التي قد ابتلي بها اليوم الحسن عليه السلام وكان عارفاً بأحوالهم ولاشك أنه قد اطلع معاوية على ذلك كله بواسطة عيونه ورقبائه على أنه كان يحسب أيضاً لامحالة ان المهابة التي كانت لعلي عليه السلام في قلوب العرب لاتكون كحالها السابقة للحسن عليه السلام في قلوبهم ، ولذلك ابتدر الى غزو العراق بعدده وعديده الى أن بلغ بهم الى جسر منبج .

وحينئذ تحرك الحسن عليه السلام وبعث حجر بن عدي يأمر العمال بالمسير واستنفر الناس للجهاد، فكان كما يظن بهم انهم تثاقلوا عنه ثم خفوا ومعهم أخلاط من الناس بعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب طمع في الغنائم

وبعضهم شكاك وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قومهم ليس لهم بصيرة في الدين نعم كان بعض وقليل ماهم شيعة له ولابيه .

وأرسل معاوية، عبدالله بن عامر بن كريز مقدمةله تأخذ على عين التمر وتقدم الحسن عليه السلام الى حمام عمر، ثم أخذ الى الساباط دون القنطرة وبات هناك وبان له الفشل من أصحابه فأراد أن يمتحنهم ، فأمر أن ينادى فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال :

الحمد لله كلما حمده حامد ولا اله الاالله كلما شهدله شاهد واشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على الوحي صلى الله عليه وآله .

أما بعد فاني والله لارجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله لخلقه وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة ألا وان ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون من الفرقة . الا وانى ناظر لكم خير من نظركم لانفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا علي رأيي ، غفر الله لي ولكم وأرشدني واياكم لما فيه المحبة والرضا .

ولم ينته الى هنا حتى وقعت بينهم الهلجة وارتفع الضوضاء وقام رجال يجنحون الى رأي الخوارج فقالوا كفر والله الرجل، وزاد الدينوري قولهم : كما كفر أبوه من قبل .

ثم شدوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته وانتزع بعضهم مطرفه عن عاتقه ، فدعا بفرسه وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا عنه بعض المنع .

فقال : دعوا لي ربيعة وهمدان، فدعوهما فأطافوا به ودفعوا الناس عنه، فلما مر في مظلم ساباط بدر اليه رجل فأخذ بلجام بغلته وبيده معول وطعنه في فخذه فشقه فوثب اليه بعض أصحابه فأخذه وأخذ رجل آخر كان معه فقتلا وحمل الحسن عليه السلام

على سرير الى المدائن فنزل على سعد بن مسعود الثقفي وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فأقره الحسن عليه السلام واشتغل بنفسه يعالج جرحه .

وكتب جماعة من رؤساء الجيش الى معاوية بالسمع والطاعة في السر واستحثوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن اليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به ..

لقد علم معاوية من هذا كله أن الظروف غير مساعدة للحسن عليه السلام على اقامة الحرب وهذا هو الوقت المناسب لان يعرض عليه الصلح للاستسلام له ولكن كان على يقين بأن الحسن عليه السلام ليس كالرجال السياسيين يراعي المصالح الزمنية المؤدية الى المنافع الشخصية وهو مهما أصبح مخذولا من قومه فانما هو ابن علي وفاطمة ووارث الرسول الامين ، فلا يرضى بما لايوافق الحق أو بما يقوى به الباطل .

فلذلك أرسل الى الحسن عليه السلام يطلب منه الصلح على مايشترط عليه الحسن عليه السلام من الشروط والمواثيق وأنفذ اليه مع ذلك يكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه اليه .

لقد كان صحيحاً أن الحسن عليه السلام كان ضجراً من غدر أصحابه ولم يكن يرى من المحاربة نتيجة ناجحة ولكنه مع ذلك يريد أن لايدنس ذيله بالمساعدة على أمر باطل وما كان أهل هذا البيت بصدد التعزز والتسلط على رقاب الخلق قط وانما كان عمدة اهتمامهم بعود عائدة الخير الى عباد الله وانفاذ نواميس الشرع المبين الى حد المكنة .

وحيث قد عرض عليه معاوية الرضا بما يشترط عليه فقد تسنى له عرض شرائط تنتج تعزيز دين الله وتخفيف وطأة الظلم على عباد الله فمع انه كان معاوية لم يقم بهذه الدعوة الا حباً للجاه وتحريا للاغراض الشخصية .

ولكن الحسن عليه السلام تأسى بما قد رآه من جده وأبيه من عدم مجابهة من يدعو

الى السلام بالرد والانكار . نعم انه قد شرط الشرائط التي تفي بعرضه من حفظ الحقوق الالهية واجراء الحدود الشرعية وكف عادية الشر والفساد عن عباد الله والبلاد .

واليك ما كتب هناك من كتاب الصلح ننقله عن كتابي «الصواعق المحرقة» لشهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي المكي و« الفصول المهمة » للعلامة ابن الصباغ المالكي لان ما أورداه أوفى ما رأيناه في هذا الباب وهذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان صالحه على أن يسلم اليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد الى أحد من بعده عهداً بل يكون الامر من بعده شورى بين المسلمين .

وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وعلى ان أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونساءهم وأولادهم حيث كانوا وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك كله عهد الله وميثاقه وأن لايبتغي للحسن بن علي ولا لاخيه الحسين ولا لاحد من بيت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم غائلة سراً ولاجهراً ولايخيف أحداً منهم في أفق من الافاق .

قال المفيد «ره» بعد ذكر بعض الشرائط على نحو الاجمال: فأجابه معاوية الى ذلك كله وعاهده عليه وحلف له بالوفاء له .

وقال الدينوري : فكتب معاوية جميع ذلك بخطه وختمه بخاتمه وبذل عليه العهود المؤكدة والايمان المغلظة وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام، ووجه الى عبدالله بن عامر، فأوصله الى الحسن فرضي به، وكان ذاك في أول الربيعين

أو اولى الجمادين سنة ٤١هـ .

ها فانظر أيها الناظر الى هذه الشروط بعقلك دون هواك، ترى ان الحسن عليه السلام قد ظفر ببغيته في هذا الصلح وفتح لـه فتحاً مبينا ، لم يكن من الهين حصوله بخوض اللجج وسفك المهج وذلـك ان هؤلاء العترة الطاهرة لم يكن هدفهم النهائي حصول السلطة لانفسهم، وانما كان يهمهم اقامة حدود الله وحفظ نواميس الشرع .

وها هـو الحسن عليه السلام قد ألزم علـى معاوية بالشرط الاول انه يعمل بالكتاب والسنة وبماينبغي أن يكون من عمل الخلفاء الراشدين المهديين [1] وبذلك قد سجل أولا أن ناموس الشريعة أمر مغاير للسياسة الملكية الرائجة وهو من الاصول الاساسية التي يجتهد لتشييدها آل النبي عليهم السلام جميعاً .

وكان من تمويهات السلطة الاموية ان للخلفاء حقاً تشريعياً في الملة الاسلامية فكلما كان من سياسة الخلفاء ، يكون أمراً مرضيا بحسب الشريعة .

وقـد دحض هـذه المزعمة بما اشترط الحسن عليه السلام على معاويـة وأقربـه معاوية للحسن عليه السلام، وتسجل ثانياً ان منهاج معاوية الى الحسين مخالف للكتاب والسنة ، اذ يعلم كل أحد ان المذكـور في شرائط الصلح انما يكون من الامور التي يتعلق بها النزاع والتخاصم بين الخصمين، فلئن كان أمر معاوية موافقا للكتاب والسنة فلماذا يذكر هذا الشرط في عقد الصلح ثم اشترط بعد ذلك أنه ليس لمعاوية أن يعهد الى أحد من بعده وبذلـك أخذ بالحائطة لما بعد وحافظ على مقصوده فيما يعود الى الزمن القادم .

اذ كان من المحتمل أن يعمـل معاوية بالكتاب والسنة طيلة حياته ثم يعهد بعده الى من لايلتزم بذلك فاشترط عليه ان لايكون له العهد الى أحد من بعده .

---

(١) على نحو القضية الحقيقية لا الخارجية . فتأمل .

كان الحسين موافقا للحسن في جميع ما صنع وكان يعلم أن الهدف الاول للتصد في قانون المدنية والشرع هو الصلح والسلام وأما الحرب فأمر اضطراري يقدر بقدر الضرورة فكلما وجدت المكنة على الصلاح والوئام فلا يسوغ الاعراض عنه ولا ينبغي الاستنكاف عن مفاوضة العدو لعقد الهدنة وان كرهه أصحاب النزعات والاهواء أو يستلزم كسرا للجاه والسلطان ما لم يفت في عضد الحق ولم يضر بمبدأ من المبادىء التي كانت المحافظة عليها أهم بنظر الحكيم العليم .

هذا هو الذي رآه الحسين من جده الرسول الامين ﷺ ورآه بعد ذلك من أبيه سيد الوصيين ويراه اليوم من أخيه الذي يرى طاعته واجبة عليه في الدين.

ولقد كان يتضمن أيضاً مبدأ أخر من المبادىء الاساسية التي لاينبغي الأعراض عنها وهو ترتيب العمل على ظاهر الحال ، فاذا أقبل عليك العدو بالعهد والميثاق فليس لك البناء في نفسك على أنه لايفي به ولا لك مجابهته بقولك اني لا أعتمد عليك ، بل لابد لك أن تسمح له بما يقتضيه عهده وميثاقه وان أبطن هو في نفسه النفاق أو أضمر لك المكيدة ، فان ذلك هو أشد اتماما لحجتك عليه وأقطع للعذر له لدى الله ولدى المنصفين .

وكان الامر في صلح الحسن كذلك ، فان معاوية لم يف بما عاهد عليه الله حتى أنه بمجرد انعقاد الصلح ووقوع الهدنة خطب الناس من أهل العراق فقال:

انى والله ماقاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولالتحجوا ولالتزكوا فانكم لتفعلون ذلك وانما قاتلتكم لاتأمر عليكم، ولقد كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي له ، ثم سار حتى دخل الكوفة فاقام بها أياما .

لقد بلغ به الجرأة والصلافة الى حد أنه خطب الناس يوماً من الايام فذكر أمير المؤمنين عليا عليه السلام ونال منه ونال من الحسن عليه السلام فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه فأخذ بيده الحسن عليه السلام وأجلسه ، ثم قام فقال :

أيها الذاكر عليا أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر وأمي فاطمة وأمك هند وجدي رسول الله ﷺ وجدك حرب وجدتي خديجة وجدتك فتيلة فلعن الله أخملنا ذكراً وألامنا حسباً وشرنا قدماً وأقدمنا كفراً ونفاقاً. فقالت طوائف من أهل المسجد: امين امين.

وهذا كله لم يكن أمراً خارجاً من الحسبان للحسن عليه السلام ولا الحسين عليه السلام وانما كان عقد الهدنة كما ذكرنا اتماما للحجة وقد حصل هذا الغرض بالصلح وكلما بالغ معاوية في نكث عهده ومخالفة ميثاقه فهو أنجح لتحصيل هذا الغرض وأقطع للمعاذير وبه تتمهد الاسباب للنهضة الحسينية التي تقضي على حياة السياسة الاموية.

وكان من جراء السياسة الاموية ان انطلى على بعض الناس مزعمة للخلاف بين الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وان الحسين لايوافق أخاه في أمر الصلح وانما كان أملهم في سياستهم هذه الخرقآء ايقاع الشقاق بين الشقيقين على حد ما عسى يخيل لدى الناس ان عقيلا فارق علياً عليه السلام الى دمشق عند معاوية وما أخيب هذا الرجآء وأخفق الظن على فرض صحة ذلك في عقيل فان ذلك كان عقيلا.

وهذا حسين مثال الدين والتقى. مثال العدل والصلاح وهو بعيد من ظنون هؤلاء السفلة الساقطين بعد الفلك السابع من مركز الارضين ولقد شهد لنا التاريخ أيضاً بموافقة الحسين عليه السلام لاخيه في أمر هذا الصلح بالرغم على ظنون الظانين وسعى الساعين.

قال أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨١ هـ في كتابه، قال: دخل (حجر بن عدى) على الحسين رضي الله عنه مع عبيدة بن عمرو فقالا: أباعبدالله! شريتم الذل وتركتم الكثير، أطعنا اليوم وأعصنا الدهر دع حسناً وماعقده من هذا الصلح، وأجمع اليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها واجعلني وصاحبي

المقدمة فلايشعر ابن هند الاونحن نقارعه بالسيوف . فقال الحسين عليه السلام : انا قد بايعنا وعاهدنا ولاسبيل الى نقض بيعتنا.

وروي عن علي بن محمد بن بشير الهمداني قال : دخلت أنا وسفيان بن ليلى حتى قدمنا على الحسن عليه السلام المدينة فدخلنا عليه وعنده المسيب بن نجبة وعبدالله بن الوداك التميمي وسراح بن مالك الخثعمي ، فقلت : السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال : عليك السلام اجلس، لست مذل المؤمنين ولكني معزهم ماأردت بمصالحتي معاوية الا أن أدفع عنكم القتل عند مارأيت من تباطىء أصحابي عن الحرب ونكولهم عن القتال ، والله لئن سرنا اليه بالجبال والشجر ماكان بدمن افضاء هذا الامر اليه .

قال : ثم خرجنا من عنده ودخلنا على الحسين عليه السلام فأخبرناه بما رد علينا ، فقال : صدق أبو محمد فليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته مادام هذا الانسان(يعنى معاوية)حياً .

أقول : هل دريت ماذا يريد الحسين عليه السلام بقوله : « مادام هذا الانسان حياً»؟ أنه يرى بنورالله أن معاوية سوف لايعمل بالشرط الاخير من هذا العهد وهو أن لايعهد الى أحدمن بعده عهداً فاذا خالف هذا الشرط فبطبع الحال تموت هذه المعاهدة معاهدة الصلح .

أجل، قاسى الحسن عليه السلام الصعاب في سبيل هذا الصلح من همزات ولمزات من أدعياء الولاء ولابدع فقد قاسى جده صلى الله عليه وآله نحواً من ذلك يوم صالح في حديبية حيث قال قائلهم: ألست رسول الله ؟ ألست على الحق؟ فلم نختار الدنيئة فى ديننا والدنيئة بزعمه للدين في وزان توهم الذلة للمؤمنين .

فأقام الحسن عليه السلام على عهده وميثاقه الى أن يبلغ السيل الزبى من نقض شروط المعاهدة بأجمعها، فيصنع ولي الامر والزعيم للحق في ذلك الوقت مايقتضيه الحال.

ولقد خرج الحسن عليه السلام بعد ذلك من الكوفة الى المدينة فأقام بها والحسين عليه السلام معه كاظماً غيظه لازماً منزله منتظراً لامر ربه عزوجل .

ولقد كان الحسين عليه السلام يرى من أخيه أنه وان صالح معاوية اتماماً للحجة ولكنه يوعز في اشاراته الى أنه لاينتهي الامر الا الى حد الظبى ، وانه سوف يقتضي الحال موقفا مهما وعر المسالك جداً وهو مستوطن بنفسه على ركوبه لو انتهت الاسباب الى اقتضاء قيامه في مدة حياته ولئن تأخر ذلك الى مابعد وفاته فسوف يقوم به صنوه ونظيره وخليفته من بعده .

ذكر ذلك ابن الفقيه الهمداني في كتاب البلدان قال : ان هذين البيتين كان يتمثل بهما الحسن :

من يلق بالسيف لاقى فرصة عجباً موتا على عجل وعاش منتصفا
لاتركبو السهل ان السهل مفسدة لن تركبوا الجد حتى تركبوا عنفا

كان الحسن عليه السلام موطنا نفسه على ركوب هذا المركب الوعر وبعده لم يزل الحسين عليه السلام موطناً عليه نفسه حتى حان حينه في سنة ٦٠و٦١ من الهجرة، فركبه الحسين عليه السلام بعزم دونه الجبال في الرساء والسيوف في المضاء .

لقد رأت الحكومة الاموية بعد هذا الصلح انها قد توطدت اركانها بحيث لايضعضعها حتى يد القضاء فأصبحت تركض في خيلائها الى أبعد حد من الغلواء ولئن عرت من قبل عن حريجة في الدين فقد استغنت اليوم عن بعض الملاحظات السياسية التي كانت تراعي الالتزام بها أخذاً بالحائطة في دنياها فخالفت جميع الشرائط التي التزمت بها مع الحسن عليه السلام .

(أما الشرط الاول) وهو العمل بالكتاب والسنة ، فحدث عنه ولاحرج وقد طفحت بمخالفة معاوية لذلك بطون التواريخ والسير . فمن ذلك استلحاق زياد ابن سمية بأبيه .

قال الدينوري في تاريخه: انه كان زياد بن أبيه انما يعرف بزياد ابن عبيد وكان عبيد مملوكاً لرجل من ثقيف فتزوج سمية وكانت أمة للحرث بن كلدة فأعتقها وولدت له زياداً ، فصار حراً ونشأ غلاماً لقناً ذهناً عاقلا أديباً فأخرجه المغيرة بن شعبة معه الى البصرة حين وليها من قبل عمر بن الخطاب فاستكتبه المغيرة .

فلما ولي علي بن أبي طالب ولى زياداً أرض فارس فلما توجه الى صفين كتب معاوية الى زياد يتوعده فقام زياد في الناس ، وقال : ان ابن اكلة الاكباد ورأس النفاق كتب الي يتوعدني وبيني وبينه ابن عم رسول الله ﷺ في شيعته أما والله لئن رامني ليجدني ضرابا بالسيف.

فلما قضى علي واستدف الامر لمعاوية ، تحصن زياد وكتب معاوية له أمانا على أن يأتيه ، فان رضي أقام عنده والارده الى متحصنه بتلك القلعة . فاتى معاوية وترقت به الامور الى أن ادعاه معاوية أخاله وأظهر أنه ابن أبي سفيان ، وشهدله أبو مريم السلولي ـ وكان خمارا بالطائف ـ ان أباسفيان وقع على سمية ، وشهد رجل من بني المصطلق اسمه يزيد أنه سمع أباسفيان يقول : ان زيادا من نطفة أقرها في رحم امه سمية ، فتم ادعاؤه أياه .

ولقد أنكر صحابة النبي ﷺ كلهم على استلحاقه ذلك خلافاً لسنة النبي ﷺ ولكنه ماذا يغني بعد مطابقته للمصالح السياسية وأنه ملك بذلك طواغية زياد وأعقابه من بعد فتاتى على يد نغله عبيدالله بن زياد سفك مهج عترة الرسول ارضاءاً ليزيد بن معاوية .

(ومنها) حيازته لتراث حتات استناداً الى المؤاخاة بينهما مع كون المعلوم ان التوارث انما يكون بالنسب والسبب دون الاخاء الديني، ولكن معاوية خالف ذلك وقبض على أموا له حتى قال في ذلك فرزدق :

أبوك وعمتي يامعاوي أورثا　　تراثا فيحتاز التراث أقاربه

فما بالميراث الحتات أكلته ... وميراث صخر جامد لك ذائبه

فلو كان هذا الامر في جاهلية ... علمت من المرء القليل خلائبه

ولو كان في دين سوى اسننتم ... فما حقنا أو غص بالماء شاربه

(ومنها) اتخاذ الخصيان .

(ومنها) الاذن في تجارة الخمور .

(ومنها) استعمال أواني الذهب والفضة الى غير ذلك من المناكير المعروفة.

(وأما الشرط الاخير) وهو أنه لايبتغي الحسن ولا الحسين ولا أحد من أهل البيت غائلة سرا ولاجهراً فقد توافق كثير من المؤرخين على أنه كان السبب في وفاة الحسن عليه السلام .

قال المفيد «ره» أرسل معاوية الى جعدة بنت الاشعث بن قيس (احدى أزواج الحسن) اني مزوجك بيزيد على شرط أن تسمي الحسن وبعث اليها مأة ألف درهم ففعلت ، وسمت الحسن عليه السلام ولقد أوصى الى أخيه الحسين عليه السلام : اذا قضيت نحبي فغمضني وغسلني وكفني واحملني على سريرى الى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لاجدد به عهداً ثم ردني الى قبر جدتي فاطمة بنت أسد رضى الله عنها فادفني هناك .

وستعلم يابن أم ان القوم يظنون انكم تريدون دفني فيجلبون في ذلك ويمنعونكم منه ، وبالله أقسم عليك أن تهراق في أمري محجمة دم .

وكان كما تنبأ عليه السلام به أنه لما أحس مروان ومن معه من بني أمية أنهم يدفنونه عند رسول الله صلى الله عليه وآله تجمعوا له ولبسوا السلاح .

(قال المفيد «ره») وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبني أمية ولكن عمل الحسين بوصية أخيه وقال : والله لولا عهد الحسن عليه السلام الي بحقن الدماء وأن لاتراق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله مأخذها فانكم نقضتم العهد بيننا

وبينكم وأبطلتم ماشترطنا عليكم لانفسنا ثم رجعوا به .

فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت اسد فانظر الى قوله: « ونقضتم العهد بيننا وبينكم وأبطلتم ماشترطنا عليكم» فانه يدل على أنه كان يشارك الحسن عليه السلام في ذلك العهد والاشتراط، وانه اليوم أيضا وقد مضى عليه عشر سنين وقد أصبح ولي الامر بعد أخيه يرى نفسه ملتزما بذلك العهد وانما يستحل الخروج من عهدته لاجل نقض الخصوم ذلك العهد وابطالهم لتلك الشروط ومع ذلك فهو ينتظر نقض باقي الشروط التي من أهمها عدم العهد الى أحد من بعده .

ويدل على ذلك ماحكاه المفيد«ره» أيضاً عن الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السير قالوا : لمامات الحسن عليه السلام تحركت الشيعة بالعراق وكتبوا الى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له فامتنع عليهم وذكران بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لايجوز له نقضه حتى تمضي المدة فاذا مات معاويـة نظر في ذلك وهو مطابق بعينه لما قاله قبل ذلك بعشر سنين في الجواب عن مقالة علي بن محمد ابن بشير الهمداني وصاحبه على ما تقدم نقله عن الدينوري في الاخبار الطوال ولفظه :

فليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته مادام هـذا الانسان حيا (يعنى معاوية) .

فانظر الى هذه البصيرة النافذة التي ترى على ظهر الغيب قبل عشرين سنة مايؤل اليه الامر بعد تلك المدة ، فهل من السائغ أن يتوهم بعد ذلك انه بعد معاوية يوم قام قام بدافع غضب أو بادرة رأي رآه اليوم أو بحافز الحماس والجرأة الطبيعية ؟ كلا وألف كلا .

ثم انه قد سنحت بعد وفاة الحسن عليه السلام سوانح تؤلم فؤاد الحسين عليه السلام أي ايلام :

(منها) شماتة معاوية بوفاة الحسن عليه السلام قال الدينوري: انتهى خبر وفاة الحسن عليه السلام الى معاوية كتب اليه عامله على المدينة مروان بن الحكم وأرسل الى ابن العباس وكان عنده بالشام قدم عليه وافدا فدخل عليه فعزله وأظهر الشماتة بموته، فقال له ابن العباس: لاتشمتن بموته فوالله لاتلبث بعده الاقليلا.

و(منها) سفك الدماء المحترمة ممن يعد من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام مثل حجر بن عدي الذي كان من رؤسائهم وكان من فضلاء الصحابة، وأمر معاوية بضرب عنقه مع سبعة من أصحابه فقتلوا بمرج عذراء من أرض الشام واستاء المسلمون من قتله، فمن ذلك ماعن نافع قال: كان ابن عمر في السوق فنعي اليه حجر، فأطلق حبوته وقام وقد غلب عليه النحيب.

وعن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن البصري يقول: «ويل لمن قتل حجرا واصحابه».

وعن مسروق بن الاجدع قال: سمعت عائشة أم المؤمنين تقول: أما والله لو علم معاوية ان عند أهل الكوفة منعة مااجترأ على أن يأخذ حجرا واصحابه من بينهم حتى قتلهم بالشام، ولكن ابن اكلة الاكباد علم أنه قد ذهب الناس، أما والله ان كانوا لجمجمة العرب منعة وفقها، ولله در لبيد حيث يقول:

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
لاينفعون ولايرجى لخيرهم ويعاب قائلهم وان لم يشغب

وكان قتل معاوية حجر بن عدى في سنة احدى وخمسين قيل لابي اسحاق السبيعي: متى ذل العرب؟ قال: يوم ولي يزيد وادعي زياد وقتل حجر بن عدى.

قال الدينوري: فخرج نفر من أشراف أهل الكوفة الى الحسين بن علي فأخبروه الخبر فاسترجع وشق عليه واستاء من هذه الفجيعة غاية الاستياء وقد علم وكان يعلم من قبل أنه لابد من نهضة تفرق بينه وبين القوم ولكنه كان ينتظر أوانه

بصبر يوزن بالجبال، بيد أنه قد ابدى مافي شغاف قلبه من الاستياء البالغ على وجه تيم الحجة ويقطع المعاذير في كتاب كتبه الى معاوية جواباً عن بعض معاتباته حيث بلغه ان رجالا من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون الى الحسين بحيث لايؤمن وثوبه .

فكتب معاوية الى الحسين عليه السلام بذلك فأجابه بما يلي : أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر انه قد بلغك عني أمور انت لي عنها راغب فان الحسنات لايهدي لها ولايسدد اليها الا الله ، واما ماذكرت انه انتهى اليك ، فانه رقاه اليك الملاقون المشاءون بالنميم وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً وأيم الله اني اخاف الله في ترك ذلك ولاعاذراً بدون الاعذار فيه اليك وفي أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة واولياء الشياطين .

ألست القاتل حجر بن عدي اخا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ، لايخافون في الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ماكنت أعطيتهم الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لاتأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ولاباحنة تجدها في نفسك .

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه بعد ماأمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه مالو أعطيته طائراً لنزل اليك من رأس الجبل ، ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافا بذلك العهد.

أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، فتركت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله تعمداً واتبعت هواك .

وصليت شيعة علي فسملت أعينهم وقطعت أيديهم وأرجلهم وتصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الامة .

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية انهم على دين علي فكتبت اليه أن اقتل كل من كان على دين علي عليه السلام، فقتلهم ومثل بهم بأمرك ودين علي والله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك وبه جلست مجلسك الذي جلست به ولقد كان شرفك وشرف بيتك الرحلتين.

وقلت في ماقلت: أنظر لنفسك ولأمة محمد واتق شق عصا هذه الامة وان تردهم الى فتنة واني لاأرى فتنة أعظم على هذه الامة من ولايتك عليها ولاأعلم نظراً لنفسي ولديني ولامة محمد صلى الله عليه وآله أفضل من أن أجاهدك فان فعلته فانه قربة الى الله وان تركته فاني أستغفر الله لديني وأسأله توفيقه لارشاد أمري.

وقلت في ماقلت اني ان أنكرتك تنكرني وان أكدك تكدني، فكدني مابدا لك فاني أرجو أن لايضرني كيدك في وأن لايكون على أحد أضر منه على نفسك لانك قد ركبت جهلك وتخرصت على نقض عهدك.

ولعمري ماوفيت بشرط ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والايمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يقاتلوا وقتلوا ولم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يصلوا أوماتوا قبل أن يدركوا.

فأبشر يامعاوية بالقصاص واستيقن بالحساب واعلم أن لله تعالى كتاباً لايغادر صغيرة ولاكبيرة الأأحصاها، وليس الله بناس أخذك بالظنة وقتلك أولياءه على التهم واجلاءهم من دورهم الى دار الغربة.

ولم يكتف معاوية بنقض سائر الشروط من هذا العهد حتى أزمع على أخذ البيعة لابنه يزيد ذلك العاهر السكران وكان يحدث نفسه بذلك منذ زمان ولكنه يخاف ثورة الغيرة الدينية في أبناء الاسلام تلمح بذلك ملامح عمله وأسرته تنم بسوائر فؤاده فيقدم في ذلك رجلا ويؤخر أخرى.

حتى قوي عزمه على اتمام هذه الامنية المغيرة ابن شعبة احد الدهاة من أركان السياسة الاموية وكان معاوية قد حقد عليه لبعض أعماله وأراد أن يعزله عن الكوفة فبلغه ذلك شخص الى معاوية وتوصل الى بقاء عمله على الكوفة بأن سول ليزيد فتى معاوية في طلب ولاية العهد من أبيه ،

فدخل على يزيد وقال له : انــه قــد ذهب كبرآء قريش وذوو أسنانهم وانما بقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأعلمهم بالسنة والسياسة ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك ؟ .

قال: أوترى ذلك يتم قال نعم ، فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر المغيرة وقال له : مايقول يزيد ؟ فقال : ياأمير المؤمنين قد رأيت مــاكان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفي يزيد منك خلف فان حدث بك حادث كان كهفاً للناس وخلفا منك ولاتسفك دماء ولاتكون فتنة .

قال : من لي بهذا ؟ قال : أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهــل البصرة فلايكون في هذين المصرين أحد يخالفك .

قال: فارجع الى عملك وتحدث من تثق اليه في ذلك وترى ونرى، فودعه ورجع الى أصحابه فقالوا مه ؟ قال: لقد وضعت معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد وفتقت عليهم فتقا لايرتق ثم أنشأ يقول :

بمثلي شاهدي النجوى وعــال ... بـي الاعداء والخصم الغضابا

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق اليه ومن يعلم أنه من شيعته لبني أمية في أمر يزيد ، فأجابوا الى بيعته فأوفد منهم عشرة ويقال أكثر من عشرة وأعطاهم ثلاثين ألف درهم جعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة وقدموا على معاوية فزينوا له بيعة يزيد ودعوه الى عقدها ، فقال معاوية لاتعجلوا باظهار هذا وكونــوا

على رأيكم ثم قال لموسى : بكم اشترى ابوك من هؤلاء دينهم؟ قال بثلاثين ألفا قال : لقد هان عليهم دينهم .

وقيل أرسل أربعين رجلا وجعل عليهم ابنه عروة فلمادخلوا على معاوية قال معاوية لعروة سراً: بكم اشترى أبوك دينهم ؟ قال بأربعمائة دينار، قال: لقد وجد دينهم رخيصاً .

ثم قـال لهم : ننظر ماقدمتم له ويقضي الله ماأراد والاناة خير من العجلة ، ولكن عزم معاويـة على البيعة ليزيد ولكنـه كان يخاف الخيبـة فأرسل الى زياد يستشيره، فأحضر زياد أحداً من ثقاتـه عبيدبن كعب النمري وقال له فيماقال : ان اميرالمؤمنين كتب يستشيرنـي كذا وكذا وهو يخاف نفرة الناس وسخطا منهـم وعلاقـة أمر الاسلام وضمانـه أمر عظيم ، ويزيد صاحب رسلة وتهاون مع ماقد أولع به من الصيد فالق أميرالمؤمنين وأد اليه فعلات يزيد وقل له: رويدك بالامر فأحرى لك أن يتم لك لاتعجل فان دركاً في تأخير خير من فوت في عجلة .

فقال له عبيد: أفلا غير هذا ؟ قال: وماهو ؟ قال: لاتفسد على معاوية رأيه ولا تبغض عليه ابنه والقى أنا يزيد فأخبره ان أميرالمؤمنين كتب اليك يستشيرك في البيعة لـه ويتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونـها عليه وانك ترى له ترك ماينقم عليه لتستحكم لـه الحجة على الناس ويتم ماتريد فتكون قد نصحت أمير المؤمنين وسلمت ماتخاف من أمر الامـة ، فقال زياد : لقد رميت الامر بحجره اشخص على البركـة ، فقدم على يزيد فذكـر ذلك له فكف عن كثير مما كان يصنع وكتب زياد معه يشير بالمودة وأن لايعجل ، فقبل عنه الى ان مات زياد . من ذلك علم أن معاوية وأخصاءه كلهم كانوا مطلعين على عدم أهلية يزيد للخلافة لماكان عليه من سوء الافعال وشناعـة الاعمال، فلميكن التصدي لولاية العهدله الا اجتراء على الحق وتلاعبا بالامـة الاسلاميـة عن عمد وسوء نيـّة من غيرها شبهة

ولا تأويل .

وبذلك قد ثبت في معاويـة جميع الخصال التي تبرهـن على نقضه للعهد الذي التزمه للحسن عليه السلام ، ووراء كونه مناقضاً لنواميس الشرع والدين طراً ، حتى قال الحسن البصري: أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه الا واحدة لكانت موبقة :

انتزاؤه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الامر من غير مشورة وفيهـم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجراً وأصحاب حجر ، فياويـلاه من حجر وياويلاه من حجر وأصحاب حجر .

وقال الحسن أيضاً: أفسد أمر الناس اثنان: عمرو بن العاص، ومغيرة بن شعبة .

وتعلم أيضاً ان الانكار على خلافة يزيد ليس أمراً يختلف فيه الامر بين فرق الاسلام ، اذ كل من يمت بنسب الى أحد من عظماء الديـن على اختلاف الاراء في تعظيمهم واحترامهم كانوا متفقيـن على انكار البيعة ليزيد ، فراجع وانظر الى أسماء المنكرين على ذلك .

وهم الحسين بن علي عليه السلام وعائشة بنت أبي بكر وعبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن عمر وعبدالله بن زبير .

قال ابن الاثير : عزم معاويـة على البيعة لابنـه يزيد فبعث الى عبدالله بن عمر ألف درهم فقبلها، فلما ذكر البيعة ليزيد، قال ابن عمر : هذا بيع ديني بثمن رخيص وامتنع .

ثم كتب معاوية بعد ذلك الى مروان بن الحكم: اني قد وهن جسمي ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الامة بعدي وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي

وكرهت أن أتم أمراً دون مشورة من عندك ، فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردون عليك .

فقام بين الناس وأخبرهم به، فقال الناس: أصاب ووفق وقد أحببنا أن يتخير لنا.

قالوا: فكتب مروان الى معاوية بذلك، فأعاد اليه الجواب بذكر يزيد، فقام مروان فيهم قال: ان أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده .

فقام عبدالرحمن بن أبي بكر فقال: كذبت والله يامروان وكذب معاوية ماالخيار أردتما لامـة محمد ﷺ ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية ، كلما مات هرقل قام هرقل. فقال مروان: هذا الذي انزل الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ الايـة .

فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت: يامروان! يامروان! فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه ، فقالت : أنت القائل لعبدالرحمن انه نزل فيه القرآن، كذبت والله ماهو به ولكنه فلان بن فلان ولكنك أنت في لعنة نبي الله وقام الحسين بن علي فأنكر ذلك وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير ولم يقف معاوية على هذا الحد بل أصبح يهدد هؤلاء بالقتل .

قال ابن الاثير: أقبل معاوية الى المدينة في ألف فارس، فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي قال: مهلا بدنة يترقرق دمها والله مهريقه، قال: لست بأهل هذه المقالة، قال: بلى ولشر منه . ولقيه ابن الزبير فقال : لامرحباً ولاأهلا، خب ضب قلعة، يدخل رأسه ويضرب ذنبه، والله ان يؤخذ بذنبه يدق ظهره نجاه عني. فضرب وجه دابته. ولقيه عبدالرحمن ابن أبي بكر، فقال معاوية: لاأهلا ولامرحبا شيخ قد خرف وضرب وجه راحلته ثم فعل بابن عمر نحو ذلك .

ومع هذا فان هؤلاء قد بقوا منحازين عن البيعة الى أنه كما قال الطبري لما

مرض معاوية مرضه الذي هلك فيها دعا ابنه يزيد ، فقال: يابني اني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الاشياء وذللت لك الاعداء وأخضعت لك أعناق العرب وجمعت لك من جمع واحد وانـي لاأتخوف عليك في هذا الامر الذي استتب لك الا أربعة نفر من قريش : الحسين بن علي وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن أبي بكر .

وخرج يزيد بعد ذلك التصيد تاركاً أباه يعالج شدائد الموت فكرر معاوية ذلك على حين موته على ماذكره أبوحنيفة الدينوري قال : فأرسل الى ابنه يزيد وكان غائباً عن مدينة دمشق، فدعا معاوية الضحاك وكان على شرطه ومسلم بن عقبة وكان على حرسه، فقال لهما: أبلغا يزيد وصيتي واعلماه اني آمره في أهل الحجاز أن يكرم من وفد عليه ويفتقد من غاب عنه من أشرافهم فانهم أصله ، واني آمره فى أهل الشام، فيجعلهم عينه وبطانته وأن لايطيل حبسهم في غير شامهم لئلايجروا على أخلاق غيرهم، واعلماه اني لست أخاف عليه الا أربعة رجال : الحسين بن علي وعبدالله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن الزبير .

وقدكان من جراء ايعازات معاوية بأنه لايخاف على يزيد الا هؤلاء الاربعة ان صار من هم يزيد بعد تمكنه على سرير الخلافة أخذ البيعة منهم خاصة كما أنه كان من جراء تهديد معاوية هؤلاء بالقتل بمثل قوله للحسين عليه السلام : بدنة يترقرق دمها والله مهريقه. أن يتجرأ خليفته من بعده على انهاء ماكان من نوايا أبيه بظاهر قوله .

وهب أن معاوية ماكان ليخرج ذلك من القوة الى الفعل لعلمه بوخامة عاقبته وشدة وطأته على الملك ولكن لم يكن يزيد مثله في الدهاء والسياسة وأنى له الوصول الى مايكنه أبوه في شغاف صدره خلاف مايرمي اليه بظاهر أقواله .

لم يغادر معاوية حياته هذه الا وقد نقض جميع الشروط التي عاهدها مع

الحسن عليه السلام وكان آخرها الاشتراط بأنه لايرشح أحداً بعده لولاية عهده وقد خالف ذلك كما ترى. وبعد ذلك كله لم يبق على الحسين عليه السلام ذمام من تجاه ذلك العهد ولكنه مع ذلك لم يتحدث مع أحد للقيام بالسيف أمام السلطة الاموية ولعله لايحدّث نفسه بذلك من دون أن يلجأه الى ذلك الظروف والاحوال القاسرة وهو ملتزم بما على ذمته من الله سبحانه بالمحافظة على الامن العام والاغضاء عن هنات سلطة الوقت مالم يثلم عرش الديانة ويضعضع أساس الحق الذي هو ضمين بالحياطة عليه ولكن يزيد هو الذي تقدم الى خرق سياج الامن والعافية بطلب البيعة منه.

ومن المهم في هذا المقام النظر الى حقيقة البيعة التي كانوا يطلبونها من الحسين عليه السلام والمانع الذي كان حاجزاً للحسين عليه السلام دون اجابتهم الى ذلك وباثناء ذلك يظهر الفرق بين هذه البيعة التي يأباها الحسين عليه السلام اليوم وبين الصلح الذي رضي به الحسن عليه السلام بالامس.

لوكان قصد يزيد هو التمكن على عرش الحكومة وحصول الطواغيت من جمهور الامة، فقد استتب له ذلك في حياة أبيه وبعد موته بخضوع جماهير الخلق في الشام والحجاز والعراق ولايقدح في ذلك على ناموس سياستهم الديموقراطية عدم دخول آحاد من الامة.

ولئن كان الحسين عليه السلام لايبايع فقد شذ عن البيعة في كل دور من الخلافة عدة عديدة من الرجال كسعد بن عبادة الانصاري وكافة بني هاشم في خلافة أبي بكر وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وغيرهما في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام فهب حسيناً يبقى معتزلا عن البيعة فماذا يضر ذلك يزيد بعدما انقاد له جمهور الامة.

اذاً ماذا يريد يزيد من الحصول على بيعة الحسين عليه السلام ؟ انما يريد كمّ أفواه

المعترضين عليه من وجهة الاخلاق والديانـة ، ولم يكن طلب البيعة من الحسين عليه السلام بما أنه فرد من أفراد العرب بل بما أنه ابن صاحب الشريعة ، ابن نبي الهدى، ابن رسول الاسلام ﷺ وابن المجاهد الاكبر، حامية الدين علي المرتضى عليه السلام وبمـا أنـه أمثولـة الحق وأسطورة العدل والهدى وترجمان الشريعـة المقدسة ويشهد بذلك انه كان هنالك من الهاشميين رجال كعبدالله بن جعفر ومحمد ابن الحنفية وغيره من اخوة الحسين عليه السلام كالعباس بن علي عليه السلام واخوته ولم يبايع أحـد منهم يزيد ومع ذلك لم يوجه الى أحـد منهم مطالبـة البيعة وبذلك قـد اتضح كراد الضحى ان سؤال البيعة من الحسين عليه السلام انما هو بخصوصية شخصه لماله من الزعامة الدينية فكان خضوع الحسين عليه السلام ليزيد بالبيعة (والعياذ بالله) هو خضوع الدين للدنيا، خضوع الشريعة للسيطرة الملكية ، خضوع الروحانية للمادية ، خضوع الورع والتقوى والامانة للفسق والخنا والخلاعة .

فيزيد والحسين كلاهما يريـان خطورة أمر الحسيـن عليه السلام لا بذات نفسه بل لما لديـه من تراث النبوة وكونه محل زمام المجد البيتي للذريـة الهاشمية ثم النبوية والعلوية، ولاجل هذا كان من يزيد ذلك الاصرار البالغ ومن الحسين عليه السلام ذلك الانكار القاطع .

يعرف من حقيقة الامر أنه لو كان أخوه الحسن عليه السلام حياً في هذا الوقت لما وجهت مطالبة البيعة الى الحسين عليه السلام وانما كان يطالب بها الحسن عليه السلام ولو كان أبوه علي عليه السلام في هذا الوقت لما يوجه النظر الى الحسين عليه السلام بل انما كان ينازع ويخاصم أبوه علي عليه السلام ولو كان جده رسول الله ﷺ لكان السؤال لتبرير أعمال يزيد موجها الى رسول الله ﷺ دون الحسين عليه السلام .

ولكن حيث أنه ليس في عالم الشهود شخص الرسول الكريم ﷺ وليس هناك علي المرتضى عليه السلام ولا الحسن المجتبى عليه السلام وانما الذي هناك هو الشخص

المقدس للحسين عليه السلام ثمال آبائه والشبح الماثل لاشياخه السادة الاطائب فلذلك أربت السلطة الاموية في خلوائها بطلب البيعة من الحسين عليه السلام .

فما أعظم المسؤلية التي هي على عاتق أبي عبدالله الحسين عليه السلام، هي مسئولية الحفظ لكرامة أخيه وأبيه وجده ومسئولية الحفظ لكرامة الدين ومسئولية الحفظ لذمار الحق وان شئت فقل : مسئولية المحافظة على جلال الخالق تجاه الخلق المنكوس الناكب عن الصراط المستقيم وبالنظر الى هذه المسئولية قد بث الحسين عليه السلام حكمه بضرس قاطع على الامتناع من بيعة يزيد ، طاغوت الاثام وداعية الخنا والضلال ولم يحترز من دواهي وكوارث تقضي على حياته وحياة جميع من ينتمي اليه وشتان مابين هذه البيعة التي أباها الحسين عليه السلام ليزيد وبين الصلح الذي عقده الحسن عليه السلام مع معاوية .

نظراً الى حقيقة أمر البيعة نرى ان الذي يعطي البيعة هو الذي يلتزم بقيود تعود على حريته بوضع الحدود والذي يأخذ البيعة هو الذي يضع هذه القيود على صاحبه فيجعله مقيداً بتلك الحدود ، ومع النظر الى هذه الحقيقة اذا تأملنا في معاملة الحسن عليه السلام مع معاوية نرى ان الواضع للقيود والمثقل عاتق صاحبه بنير الحدود انما كان هو الحسن عليه السلام حيث وضع الشروط على معاوية بمايقضي على حريته بالاستئسار ومن يرى أن الظفر كل الظفر في التسلط والتسيطر وفي تلبّس التاج وتسنم العرش فقد سقط في تسفل الطباع من حالق وتردى الى الحضيض الاوهد من سقوط الهمة .

كلا، ان الظافر هو الذي يبقى محافظاً على مبدأه مستمسكاً بكرامته في علو المقصد وسمو المعنى ، وذلك كان هو الحسن عليه السلام تجاه معاوية ، فراجع شروطه التي اشترطها عليه وأولها : أن معاوية يعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهل بقيت بعد ذلك حاجة في نفس يعقوب وهل كانت بغية آل الرسول عليهم السلام

سوى المحافظة على نواميس الدين .

وقد فاز بهذا المأرب أبومحمدالحسن سلام الله عليه. فاز به في حومةالقانون في حومة السياسة ، في حومة الضوابط التي تراعيها الامم على اختلاف مللها ونحلها، ودع عنك ان معاوية لم يف بها فان هذا أمر متأخر عن عقد الصلح، فلو لم يكن الصلح على تلك الشروط فمن أين كان يعود على معاوية تبعة نقض العهد وعدم الوفاء بالميثاق ومالم تأت على معاوية وذويه تبعة مخالفة العهد، عهد الصلح والسلام فمن أين كان يسوغ للحسين عليه السلام القيام تجاههم كماقام .

قعود الحسن عليه السلام توطئة لقيام الحسين عليه السلام

لاشك ان الاقدام على شيء من المهام مهماكان في الصلاح فانماينجح وينجع اذا وقع في أوانه ، وان كان قبل حينه فلربما يذهب سدى بل قديوجب خسراناً ويبقى عاراً على صاحبه، وان مجتني الثمرة في غيروقت ايناعها كالزارع بغيرأرضه كماقال أمير المؤمنين علي عليه السلام .

ان الاوضاع لاتبقى على نمط واحد وانما تتدرج وتنمو آونة بعد أخرى ويختلف الدواء على اختلاف مراتب الداء . ومثال ذلك ماإذا ظهرت على يد الشخص بثرة أوقرحة فمن الواجب حينئذ علاجها بالدواء ثم اذا بلغ الى حد العدوى بحيث يخاف منه تسمم سائر الجسد فلربما يكون من اللازم قطع تلك الجارحة بأسرها محافظة على سائر البدن وحياة الشخص ولو أنه بمجرد ظهور البثرة أوالقرحة يقضي على تلك الجارحة بالقطع لكان محل الذم واللوم لدى العقلاء، ولقد قيل « آخر الدواء الكي » فكيف بالقطع ، فهذا النحو من العلاج يكون صالحاً مهما وقع في آخر الامر ويكون سيئاً اذا تسرع الى اختياره من أول الامر .

هكذا معالجة أدواء الشعب بالتضحية ولاسيما تضحية النفس ولا بنفس

واحدة بل بنفوس جميع العشيرة والاولاد ، فانه بخطورة موقفه لربما يستحسن في آخر الامر بعدماتقطعت الوسائل ونفدت المعالجات فيكون لها التأثير الحسن اذا كان كمايقتضيه الحال بمقتضى الحكمة حينماتسجل بخيبة المساعي المتقدمة انحصار العلاج في هذه التضحيـة الشديدة والا فـلايبعد والمقدم على مثل ذلك أن يكون مورداً للطعن بالتسرع والتهور والطيش .

وان شئت فقل: انه يرمي بالانتحار والالقاء بيده الى التهلكة وبذلك تصير التضحية غيرمبررة وتخرج عن أن تكون في سبيل الحق فيزول تأثيرها ونجاحها في اصلاح الامور .

فالخطوة الاولى في اصلاح الاوضاع السياسية تجاه السلطات المستبدة هي الاحتجاج باللسان ثـم المفاوضة والمعاقدة والتذرع بكل مايوصل الى النتيجة من غير زهاق أرواح وانتهـاك حرمات، ثم بعد اختيار جميع الوسائل لوتسجل انحصار الامر في التضحية فاذن تختار الخطى الشاقة على اختلاف مراتب المآرب وحينئذ لايبقى سؤال انه لم أقدم على هذه الخطة وكيف لم يرض من خصمه بالتسالم والتعاقد ولماذا لم يتفاوض معه بمايوجب الهدنة .

نعم لايحسن شيء من هذه الاسئلة لظهور الجواب عنها جميعاً بأنه قد اتخذ جميع الوسائل ولم تنجح فكان لابد له من الاقدام على هذه التضحية الدامية .

فالشجاع بحقيقة معناه وهو المراعي للحكمة في كل خطوة من أعماله لابد له من أن يراعي في التضحية هذا التدرج وتقديم عذره بماتتم به حجته .

لاريب أن السلطة الاموية كانت غاشمة تمس بكرامات الدين وكانت الديانة على يديها على شفا جرف الانمحاء وكانت بحيث لابد لكسر سورتها من تضحية عظيمة توجب التضعضع والانقلاب في الاحوال ولكنه كان من الواجب في اعداد الحال لذلك تقديم اختيـار الوسائل الاخر التي يطالب بها قوانين المدنيـة من

السعي في عقد الصلح على الشرائط التي تفي بمصالح الدين والامة .

ولو كان الحسين عليه السلام يقدم على نهضته ، تلك النهضة التي كان في أثرها قتله عليه السلام وقتل جميع من معه من عشيرته وأسر العقائل من العترة النبوية بالتي ليس عليها مزيد في الفجعة على الاسلام والمسلمين لكان مما لابد منه توجه الاسئلة بأنه لماذا لم يجتهد لاصلاح الحال بمادون ذلك من الوسائل ومع بقاء السؤال عن ذلك من غير جواب مقنع كانت تعد نهضة الحسين عليه السلام (وحاشاها) بادرة سبقت من تهيّج العواطف وثوران الاميال بتسرّع لاتقتضيه الحكمة والمدنية .

ولكن صلح الحسن عليه السلام مع بقائه على ذمامه مدة عشر سنين طيلة حياته ثم بقاء الحسين عليه السلام على الوفاء بالذمام مدة عشر سنين أخرى مع نقض معاوية جميع تلك الشرائط ثم التجري على مطالبة الحسين عليه السلام بالبيعة للخلافة التي أسست على الغدر والخيانة مع سلوك خطى مستمرة على مخالفة الكتاب والسنة مع تولية العهد لابنه ، ذلك الذي كفى لاظهار ما به من الشرور أنه «يزيد» .

هذا كله قد سنى للحسين عليه السلام القيام بنهضته تلك القاضية ولم يبق معه موقع مسألة الحسين عليه السلام أنه لماذا لم يتخط للهدنة خطى فقد تخطاها الحسن عليه السلام من ذي قبل ، وكان مخالفة شروط ذلك الصلح هي الحال التي يعالجها الحسين عليه السلام الان مع أن معاوية في خصاله على ما به من العلات كان أسمى من ابنه يزيد فاذا لم يؤد الصلح معه الى نتيجة ناجحة فما ظنك بالصلح مع يزيد ؟ !

مع ان الصورة المتمثلة بالعيان في صلح الحسن عليه السلام انه كان عرش الخلافة الاسلامية تحت أقدام الحسن عليه السلام ثم انه بعد ما أخذ من معاوية تلك العهود والمواثيق ترك ذلك العرش بمظاهره المادية لمن يطمع فيه ، ولم يكن من لوازمه أنه ترك المحافظة على النواميس الشرعية ولا الدعاية الى اتباع أحكامها ولم يكن أثر هذا

الصلح الا عدم التعرض لمعاوية في سياسته الملكية .

وان شئت فقل: انه بهذا الصلح انفصلت السيادة الملكية عن الزعامة الدينية ولكن السلطة الجبارة لم يكن يهنأ لها العيش تهيئاً بهذا الانفصال مادام هناك مركز الروحانية قائما يهدد حريـة تلك السلطة في أعمالها وان معاوية قد رضي ببقآء ذلك المركز بقضية الاضطرار السياسي .

وأما يزيد فهو اليوم يبذل كل جهده لاخضاع المركز الروحي تجاه السلطة المادية. انما رضي معاوية في ذي قبل ببقآء هذا المركز اذالم يكن يتأتى زوال ماحصل للحسن عليه السلام من الخلافة المسلمة على مقتضى مبادئهم الا بمثل ذلك الصلح واما بعد ذلك فقد كان معاوية وبعده يزيد يـودان ازالة هذا الحجر عن طريقهما كي يهنأ لهم عيش الخلافة المطلقة وليزيد خصوصا عيش الدعارة والخلاعة .

وبذلك يظهر انه لم يكن للحسين عليه السلام سبيل الى الصلح مثل صلح الحسن عليه السلام وان الذي كان بين يديه هو طلب البيعة، والبيعة هنا تساوق ثل عرش الروحانية وتقويض بنآء الشريعة التي كان الحسين عليه السلام زعيماً باقامتها .

وان شئت فقل : انها الاذعان لناموس السياسة المادية الملوكية مكان السياسة الروحانية الالهية ، وهذا مـا لا يرضى به أحد من آل محمد صلوات الله عليهم سوآء الحسين عليه السلام اليوم واخوه الحسن عليه السلام من قبل ثم لينظر الى الفرق الجلي بين معاوية ويزيد .

ان معاوية هناك يلتزم للحسن عليه السلام بأنه يعمل بالكتاب والسنة وهنا يزيد يؤخذ البيعة له من أهل المدينة ، بحيث يجلس مسلم بن عقبة لاخذ البيعة فأتاه يزيد بن عبدالله بـن ربيعة وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فيقول له مسلم: بايعني قال : أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله ، فقال مسلم : بل بـايع على أنكم فيء لامير المؤمنين يفعل بكم مايشاء. فأبى أن يبايع على ذلك، فأمر به فضربت عنقه.

ومن ذلك كله ترى أن جماعة من أصحاب الارآء كعبدالله بن جعفر وعبدالله

ابن العباس ومحمد بن الحنفية قد أشاروا على الحسين عليه السلام في مبادىء نهضته بما يرونه من الخصال الصالحة كالخروج الى اليمن والبقاء في مكة ونحو ذلك ، ولكن لم ينبس أحد منهم ببنت شفة في الاشارة عليه بأن يبايع يزيد وذلك يدل على أنه كان من المرتكز في الطباع كلها عدم سوغان البيعة مهما تفاقم الامر وعظم الخطب .

ومع ذلك لم يرفع الحسين عليه السلام قدماً يضعضع أركان الهدوء وانما كانت خطته الاعتزال عن البيعة ، ولذلك قد اختار أولا الخروج من المدينة الى مكة وكان التجاوز الى مكة اعلانا عمليا بأنه لايريد الحرب وانما يريد الحياطة على نفسه مع دينه ، وقد أحرم للحج ولكنه اضطر الى الاحلال منه وجعله عمرة لما بعث يزيد اليه من شرطه وجنوده ، وقد أمرهم بالقبض على الحسين عليه السلام أو الفتك به أينما وجدوه .

فخرج عليه السلام متحفظاً على حياته وحياة ذويه مع المحافظة على كرامة ذلك الحرم المقدس ، حتى قال : والله لان أقتل خارجا منه بشبر أحب الي من أن أقتل داخلا فيه بشبر .

وقد كشف الستار أيضا عن سبب خروجه حين لقيه الفرزدق الشاعر وقد دخل الحرم حاجاً لله فلقي الحسين عليه السلام خارجاً من مكة مع أسيافه وأترابه فأتاه وسلم عليه وقال ماأعجلك عن الحج ؟ فقال : لو لم أعجل لاخذت .

ثم انه عليه السلام مع ذلك لم يأل جهدا في حفز الدوافع الى الحرب مهما استطاع فانه لما وصل الى كربلاء من أرض العراق ووافاه عمر بن سعد بجنود اليزيديين وأرسل اليه عليه السلام : ماذا الذي يريده وماالذي جاء به ؟ قال له الحسين عليه السلام في الجواب : «كتب الي أهل مصركم هذا أن أقدم ، فأما اذ كرهتموني فأنا منصرف عنكم» .

وهل هو الاجواب سلمي؟ جواب من يحب العافية لنفسه وللناس جميعا. وقد كتب بذلك عمر بن سعد الى ابن زياد قال : فاني حين نزلت بالحسين بعثت اليه رسولي فسألته عما قدمه وماذا يطلب ؟ فقال: كتب الي أهل هذه البلاد وأتتنى رسلهم ، فسألوني القدوم ففعلت ، فأما اذكرهوني وبدالهم غيرما أتتني به رسلهم فأنا منصرف عنهم. ولكن ابن زياد قد أخذته عزة التجبر فقال :

الان اذعلقت مخالبنا بـه يرجو النجاة ولات حين مناص

وكتب الى عمر بن سعد: أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ماذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه ، فاذا هـو فعل ذلك رأينا رأينا والسلام .

فهل يبقى بعد ذلك شك في أن الحسين عليه السلام ما كان له سبيل الى مثل صلح أخيه الحسين عليه السلام حتى يختاره ، وانما كان بين يديه خطتان : خطة هلاك نفسه ومن معه من ذويه، وخطة هلاك دينه ومبادئه التي يعيش لاجلها، فنظرالى معنى ما قليل :

«حنانيك بعض الشر أهون من بعض»

فاختار القتل لنفسه ومن معـه دون القضآء على مبدأه ودينه وكان هو مقتضى طبع هذه الحالة لمثله ولـو كان أخوه الحسن عليه السلام يبتلى بمثله من انحصار الامر بين الخلتين لكان هو أيضاً يختار القتل في سبيل الله والمـوت في العز الذي هو خير مـن حياته في الذل . وقد أحس ابن سعد مع كونه من اتباع ابن زياد بخطة الحسين عليه السلام السلمية وكـون ابن زياد هـو الخارق لسياج الامن والسلامة بقوله لما وصل اليه كتاب ابن زياد: قد خشيت ان لايقبل ابن زياد العافية. وأعاد الحسين عليه السلام كرته ثانياً للسعي في اقامة الامن والعافية، فأرسل الى عمر بن سعد: انى أريد أن ألقاك، فاجتمعا ليلا، وقد رضي في هذه المرة بما لم يترك لعمر بن سعد شكاً في أنه ليس بعده موجب للحرب حتى أنه كتب الي ابن زياد بما لفظه :

«أما بعد فان الله قد أطفأ الثائرة وجمع الشمل وأصلح أمر الامة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع الى المكان الذي هو منه أتى أو يسير الى ثغر من الثغور فيكون رجلا من المسلمين له ما لهم وعليه ماعليهم وهذا لك رضا وللامة صلاح».

فلما قرأ عبيدالله الكتاب قال : هذاكتاب ناصح مشفق على قومه ، نعم قد قبلت . فقام اليه شمر بن ذي الجوشن فقال أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وورد الى جنبك والله لئن رحل عن بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعز ولتكونن أولى بالضعف والعجز فلاتعطه هذه المنزلة فأنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فان عاقبت فانت أولى بالعقوبة وان عفوت كان ذلك لك .

فقال له ابن زياد : نعم ما رأيت ، الرأي رأيك ، فاخرج بهذا الكتاب الى عمر بن سعد فيعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فان فعلوا فليبعث الى بهم سلما ، وان هم أبوا فليقاتلهم ، فان فعل فاسمع له وأطع وان هو أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الجيش واضرب عنقه وابعث الي برأسه .

ثم كتب الى عمر بن سعد: اني لم ابعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه السلامة والبقاء ولا لتعتذر عنه ولا لتكون له عندي شفيعا ، فان رضي الحسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم الي سلما وان أبوا فقاتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون(الى ان قال :)فان أنت مضيت على أمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع وان أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فانا قد أمرناه بأمرنا . والسلام .

فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبدالله الى عمر بن سعد فلما قدم عليه وقرأه قال له عمر : مالك لاقرب الله دارك وقبح الله ما قدمت به علي فوالله لاظنك انك نهيته ان يقبل ما كتبت اليه وأفسدت علينا أمرا كنا قد رجونا ان يصلح. لايستسلم والله حسين ، ان نفسا أبيه بين جنبيه .

فقال له شمر : أخبرني بما أنت صانع أتمضي لامر أمرك وتقاتل عدوه والا فخل بيني وبين الجند والعسكر ، فقال : لا ولاكرامة لك ولكن أنا أتولى ذلك .

فكل من نظر الى هذه الجملة يكون من اليقين على مثل ضوء الشمس بأن الحسن عليه السلام كان في قبال معاوية، ذلك المحنك الذي بعث الى الحسن عليه السلام أن يعرض عليه شرائطه فيقبلها منه وبذلك لم يدع للحسن عليه السلام على ظاهر الحال مجالا للقيام للحرب أو الاقدام على التضحية مع ما يراه في أصحابه من الفشل والخور والنفاق والشقاق . وكان تجاه الحسين عليه السلام يزيد ذلك الغر السفساف وعامله ابن زياد، ذلك الجبار الفظ، فلم يرضيا من الحسين عليه السلام بما عرض عليهما من الشروط وبذلك لم يدعا للحسين عليه السلام بينه وبين ربه عذراً في السكوت والاعتزال والتقاعس عن الجهاد والتخلص عن تضحية نفسه ، فان ذلك كله لايتأتى من دون تضحية دينه ومبدأه ، وهذا مالا يقوم عليه حامية للدين مستمسك بالشرع المتين .

وبذلك نقول ماقلناه في مبادىء البحث: أنه لو كان الحسن عليه السلام مكان الحسين عليه السلام في الطف لكان هو القائم بتلك التضحية الخالدة في التاريخ ولو كان الحسين عليه السلام هو ولي الامر مكان الحسن عليه السلام لكان هو زعيم الصلح مع معاوية فليس هناك اختلاف في المبدأ ولا الطبع وانما هو من جهة اختلاف الظروف والاحوال . والسلام .

قد فرغ من كتابة هذه العجالة مؤلفها أضعف عباد الله القوي علي نقي التقوي في لكهنؤ (الهند) يوم الثاني عشر من ذي القعدة الحرام والحمد لله .

تكملة مهمة فى دفع مانقله السيد علم الهدى من الايراد بتضاد فعل الامامين عليهما السلام مع نقد ما اجاب به السيد «ره» عن الايراد

ان السيد «ره» في كتابيه «تنزيه الانبياء» و «الشافي» نقل سؤالا عن بعض المخالفين يشتمل على اثبات التضاد بين فعل الامامين وأجاب عنه بما أجاب، وحيث أن لهذا الايراد والجواب صلة بموضوع كتابنا فنحن نوردهما مع الجواب الصحيح عن الايراد ونقد ما أجاب به السيد «ره»، فانه على ما نرى ويراه كل ذى عينين لا يرتضيه الدين ولا التاريخ.

السيد وآراؤه

لاشك أن السيد «ره» من فحول علماء الطائفة ومن مفاخر العصابة الجعفرية ولكن من راجع كتب الكلام والفقه وأصوله رأى أن آراءه خاصة في كل ذلك لم تقع عند المحققين فيما بعد موقع القبول. هذا في الكلام والفقه وأصوله العلوم التي كان السيد «ره» ابن بجدتها والمتخصص فيها فكيف بالتاريخ الذي ليس هو على جلالة قدره من فرسان ميدانه وليس معدودا من السابقين في رهانه، فلا بدع في أن رأيه في هذا المجال مما لايستطاع قبوله لا بالنظر الى الحقائق التاريخية ولا بما هو المرتكز في أذهان أهل الايمان من الحقائق الدينية في مكانة الامامين

الهمامين سلام الله عليهما .

ونحن نورد أولا ذلك الايراد حسب تقرير السيد « ره» ونبين مواقع الخطأ فيه ثم نتبعه بذكر جواب السيد عنه مع الايعاز الى ما وقع فيه من المسامحات التي لايستهان بمثلها ولا يسوغ الاغماض عنها في ذمام الدين والحقيقة .

الايراد الذى نقله السيد «ره»

قد بينتم أعذار الحسن عليه السلام فما أعذار الحسين لانه فعل ضد ما فعله ، وكيف يمكنكم الجمع بين أفعالهما لانه خرج بأهله وعياله الى الكوفة والمستولي عليها أعداؤه، والمتأمر بهامن قبل يزيد منبسط اليدو الامروالنهي وقدرأى صنيع أهل الكوفة بأبيه وأخيه وانهم غادرون خوافون ، وكيف خالف ظنه ظن جميع أصحابه لان ابن عباس «رحمة الله عليه» أشار بالعدول عن الخروج وقطع على العطب، وابن عمر لما ودعه فيقول : أستودعك الله من قتيل ، وأخوه محمد مثل ذلك . الى غير من ذكرناه ممن تكلم في هذا الباب .

ثم لما علم بقتل مسلم بن عقيل وقد أنفذه رائداً له كيف لم يرجع وقد علم الغدر من القوم وتفطن بالحيلة والمكيدة ، ثم كيف استجاز أن يحارب بنفر قليل لجموع عظيمة خلفها مواد لها كثيرة، ثم لما عرض عليه ابن زياد الامان وأن يبايع يزيد كيف لم يستجب حقنا لدمه ودماء من معه من أهله وشيعته ومواليه، ولم ألقى بيده الى التهلكة وبدون هذا الخوف سلم أخوه الحسن عليه السلام الامر الى معاوية فكيف يجمع بين فعلهما في الصحة ؟

مواقع الخطأ فى هذا الايراد

(١) قوله : «ما اعذار الحسين لانه فعل ضد ما فعله الحسن فكيف يمكنكم الجمع بين أفعالهما ؟» .

جوابه

هذا كما أمكننا وإياكم الجمع بين فعل رسول الله بمكة وفعله نفسه بعد الهجرة الى المدينة مع كون أحدهما ضد الاخر وكذا صنيعه صلى الله عليه وآله في وقائع بدر وأحد والاحزاب وخيبر وصنيعه صلى الله عليه وآله نفسه بالحديبية، وكذا أمكننا الجمع بين فعل أمير المؤمنين علي عليه السلام بمكة قبل الهجرة النبوية على صاحبها التحية وفعله عليه السلام حين أتى المدينة فيما قبل الحديبية، وكذا صنيعه بالمدينة قبل الحديبية وبعدها الى آخر حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصنيعه بالحديبية وفعله عليه السلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله وفعله بعد وفاته طيلة خمس وعشرين سنة مع فعله عليه السلام في الخمسة الاخيرة من أعوام عمره الشريف.

فبأي وجه يجمع بين الافعال المتضادة لكل واحد واحد من النبي والوصي «عليهما أفضل الصلوات والتحيات»، فذلك الوجه هو الذي يجمع به بين أفعال شخصين، وهما الامامان الحسن والحسين ـ ولقد سبق تفصيل ذلك منا في هذا الكتاب، فتذكر.

(٢) قوله: «خرج بأهله وعياله الى الكوفة والمستولي عليها أعداؤه والمتأمر فيها من قبل يزيد منبسط اليد والامر والنهي وقد رأى صنيع أهل الكوفة بأبيه وأخيه وانهم غادرون خوانون».

دفعه

أقول: وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله بأهله الى المدينة والمستولي عليها بحسب الثروة والقدرة أعداؤه اليهود حيث أن جماعة من أهاليها طلبوه للهداية والارشاد الديني، وهكذا جمع من أهل الكوفة طلبوا الحسين عليه السلام للارشاد والهداية، ولم يكن هدف قصد النبي صلى الله عليه وآله استيصال اليهود وانتزاع دولتهم وثرائهم من أيديهم،

ولكنهم لما تربصوا به الدوائر واجتهدوا للعرقلة في مساعيه الدينية أدى الى استيصال شأفتهم من المدينة .

وهكذا لم يكن الهدف النهائي للحسين عليه السلام الاستيلاء على الكوفة وكسر شوكة يزيد المادية وهدم صرح سلطته الدنيوية ولذلك لم يأمر مسلم بن عقيل بعد أخذ البيعة من أهل الكوفة باخراج عامل يزيد وهو النعمان من قصر الحكومة ولم يقدم مسلم على ذلك ، ومن ثم لم ير النعمان مساغا لمزاحمته ومصادمته ، والذين كتبوا اليه لم يكن ظهر منهم الغدر بأبيه ولا أخيه فلم يكن موجب لحسبانهم غادرين خوانين ولم يظهر من رؤسائهم وهم أمثال : حبيب بن مظاهر وسليمان بن صرد الخزاعي ومسلم بن عوسجة غدر ولا خيانة فيما بعد أيضا .

نعم بتسيطر عبيدالله بن زياد على الكوفة تبدلت الاحوال على نحو لم يستطيعوا أن يمنعوا حثالة الخلق وهم عامة الناس وأبناء الدنيا من مشايعة ابن زياد ومن المعلوم ان علم الامام الحاصل له من جهة مالك الغيوب وان كان حاويا لما يكون ولكن النبي والائمة يكونون مأمورين على ترتيب الاثار العملية على ماظهر لهم بحسب الاسباب العادية لاماكان وراء ستار الغيب عند عالم الغيب .

(٣) يقول : كيف خالف ظنه ظن جميع أصحابه، لان ابن عباس «رحمة الله عليه» أشار بالعدول من الخروج وقطع على العطب، وابن عمر لما ودعه يقول: استودعك الله من قتيل ، وأخوه محمد مثل ذلك ، الى غير من ذكرناه ممن تكلم في هذا الباب .

الجواب

ان الظن الذي كان منهم كان من وجهة المصالح المادية حيث كانوا يزعمون ان مقصود الحسين عليه السلام الغلبة العسكرية تجاه حكومة الشام واستيصال سلطة يزيد والاستيلاء على البلاد الاسلامية، وكانوا يرون أن الشئون الحالية لاتقتضي ذلك ولم

يخطىء الحسين عليه السلام قط ظنهم من تلك الوجهة، بل صدق بعضهم في ظنه حيث قال: «قد أصبت في مارأيت وتكلمت بعقل» ولكن مع ذلك لم يرجع عن عزيمته .

من هنا ينبغي أن يفهم ان نظره ماكان يخالف ظنهم من الوجهة التي كانوا يتكلمون بحسبها ولكن صنيعه الذي كان يريد أن يصنعه كان مبتنيا على جهات أخر ماكانوا ملتفتين اليها وماكانت الظروف تقتضي كشف الستار عن تلك الجهات، ولذلك أحال الامام عليه السلام في البقاء على منهاج عمله غالبا على مشيئة الباري سبحانه ومعنى مشيئته تعالى ابتناؤه على مصالح خفية لايعلمها عامة الناس.

(٤) قوله : لماعلم بقتل مسلم بن عقيل وقد أنفذه رائداً له كيف لم يرجع وقد علم الغدر من القوم وتفطن بالحيلة والمكيدة ؟

الجواب : أنه لو كان توجهه الى الكوفة ناشئا من بروق آمال خلابة ، لكان من اللازم بعد العلم بقتل مسلم أن يرجع ولكنه كان اجابة لدعوة مضطرين من أوليائه المخلصين ، ولم يظهر بعد نكوصهم عن دعوتهم ومن الجائز بحسب الموازين العادية أن يكونوا منتظرين لقدومه وبعد وصوله ينتعشوا لنصرة الحق بجد وثيق ولو لم تساعدهم الحال على النجاح أو قصرتهم الحواجز عن أداء حق نصرته فمع ذلك حيث كان محيئه اجابة لدعوتهم فسوف تضطرم في أفئدتهم نار ، ربما كان لهبها فيما بعد يقضي على السلطة الظالمة كما وقع فيما بعد ذلك وكان ذلك مثيراً لعزائم التوابين على أن يضحوا انفسهم في الكفاح تجاه سلطة يزيد الغاشمة، وبذلك قوي ساعد المختار بن أبي عبيدة الثقفي حيث أخذ الثار من قتلة الحسين واستولى على ملك العراق . وهذا هو الذي انجر بعد أمد قصير الى ذهاب الحكومة عن أيدي الامويين .

(٥) قوله : كيف استجاز أن يحارب بنفر قليل لجموع عظيمة خلفها موادلها كثيرة ؟

الجواب : كلا . انه لم يخرج للمحاربة بل خرج اجابة لدعوة أهل الكوفة وقد خرج بعائلته وصبيته حتى لايظن أحد أنه يخرج للمحاربة وقد اجتهد الى آخر أزمنة الامكان لاطفاء نائرة الحرب. نعم. لما أحاط به عساكر الاعداء وبدأوا بالحرب فهو حينئذ لا للمحافظة على نفسه وأهله فقط بل للمحافظة على مبدأه الديني الذي كان بنظره أهم من نفسه وأهله جميعاً خاطر بنفسه وجميع ذويه من أنصاره وأقربائه وهذه الحروب التي تكون للدفاع لاتكون مشروطة بعدة ولاعديد ، وهكذا المقاومة الدفاعية التي يكون المقصود بها تضحية مثمرة في العاقبة وهي التي كانت فريضة شخصية بحسب تلك الظروف على الحسين عليه السلام، فانه لم يكن متكئا في عمله على الانصار حتى النفر القليل الذين لم يزالوا معه ولذلك رخصهم في مفارقته بخطبته التي ألقاها ليلة عاشوراء حيث قال :

ان هؤلاء لو وجدوني لهوا عن غيري. فدل بذلك على أنه موطن نفسه للتضحية ولو لم يكن معه أحد .

(٦) قوله : «لما عرض عليه ابن زياد الامان وأن يبايع يزيد كيف لم يستجب حقنا لدمه ودمآء من معه من أهله وشيعته ومواليه ولم ألقى بيده الى التهلكة وبدون هذا الخوف سلم أخوه الحسن عليه السلام الامر الى معاوية» .

الجواب : لو كان الحسين عليه السلام يستسيغ مبايعة يزيد لنفسه فلم لم يبايع حين طلب منه الوليد البيعة مع أنه لم يكن في ذلك الوقت دعوة من أهل الكوفة ووعود بالنصرة، وبذلك يعلم أن اباءه مبايعة يزيد لم يكن منوطا بآمال وأماني حتى اذا خابت تلك الامال فلا بد من أن يبايع يزيد ويحقن دمه ودمآء ذويه من أنصاره وأقربائه .

ثم انه بعد ما أبى مبايعة يزيد كلمه عبدالله بن العباس وأمثاله ممن ذكره المورد قبل ذلك واستعظم آراءهم ، لكن أحدا منهم مع تحذيره له من أهل الكوفة

لم ينبس ببنت شفة في مفاوضته له لان يبايع يزيد، ومن المعلوم ان الاخطار التي تعرضت فيما بعد كلها كانت ناشئة من استنكافه أن يبايع ، فمع تلك المخاوف اذا لم يستسغ أحد ممن له دراية في الدين مبايعته ليزيد، فكيف يسوغ له ذلك الان والحقيقة أنه منذ أول يوم حين تأخر عن مبايعة يزيد كان موطنا نفسه على ما يلقاه في ذلك .

وهذا هو معنى قول من يقول : انه ضحى بنفسه في سبيل الدين . وليست المخاطرة بالنفس في سبيل الدين القاء النفس في التهلكة، والا لكان شهداء بدر ومن حاذى حذوهم قاطبة ملقين لانفسهم في التهلكة، بل ومن قبل ذلك نوح وابراهيم وزكريا ويحيى وعيسى ومن لانعلم أسماؤهم من الانبياء الذين قتلوا في سبيل الدين، بل وأفضلهم خاتم النبيين صلى الله عليه وآله كلهم ملقين بايديهم الى التهلكة وحاشاهم عن ذلك .

العصارة الاخيرة للبحث

سؤاله : فكيف يجمع بين فعلهما في الصحة ؟

نقول: ان الجمع بينهما ظاهر من اختلاف الحال في كلا الظرفين. في الظرف الذي صالح فيه الحسن عليه السلام بعث اليه معاوية أن يعرض هو عليه شرائط الصلح وهو يقبلها كلها ، فاشترط الحسن عليه السلام شرائط تضمن صيانة مبدأه المقدس من اتباع طقوس الكتاب والسنة .

وفي الظرف الذي صادف الحسين عليه السلام عرض عليه يزيد أن يبايعه من غير شرط ، ويزيد ذاك الذي خلع زمام الدين والشريعة . ثم انه عليه السلام عرض شرائط الصلح في أرض كربلاء فلم يقبلها مناوؤة، فالخلاف كل الخلاف انما هو في فعل الخصم المقابل لكل واحد من الامامين لا في عمل الامامين .

ولقد بينا في كتابنا هذا من قبل انه لو كان الحسين عليه السلام على عرش الامامة الفعلية في الظرف الاول لكان صنيعه مثل ما صنع أخوه الحسن عليه السلام ولو كان

الحسن عليه السلام باقيا في الظرف الثاني لكان صنيعه مثل ماصنع الحسين عليه السلام فالتضاد في مقتضى الظرفين لا في فعل الامامين .

ما أجاب به السيد المرتضى «ره» عن ذلك الايراد ولا يرتضيه الحق والحقيقة

قال : قد علمت ان الامام متى غلب على ظنه أنه يصل الى حقه والقيام بما فوض اليه بضرب من الفعل وجب عليه ذلك وان كان فيه ضرب من المشقة يتحمل مثلها تحملها ، وأبو عبدالله عليه السلام لم يسر الى الكوفة الا بعد توثق من القوم وعهود وعقود وبعد أن كاتبوه طائعين غير مكرهين ومبتدأين غير مجيبين ، وقد كانت المكاتبة من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرائها تقدمت اليه في أيام معاوية وبعد الصلح الواقع بينه وبين الحسن فدفعهم وقال في الجواب ما وجب .

ثم كاتبوه بعد وفاة الحسن عليه السلام ومعاوية باق فوعدهم ومناهم ، وكانت أيام معاوية صعبة لايطمع في مثلها .

فلمامضى معاوية وأعادوا المكاتبة وبذلوا الطاعة وكرروا الطلب والرغبة ورأى عليه السلام من قوتهم على من كان يليهم في الحال من قبل يزيد وتسلحهم عليه وضعفه عنهم ما قوى في ظنه أن المسير هو الواجب ، تعين عليه فعله لم يكن في حسابه أن القوم يغدر بعضهم ويضعف بعضهم عن نصرته ويتفق ما اتفق من الامور الطريفة الغريبة .

فان مسلم بن عقيل لما دخل الكوفة أخذ البيعة على أكثر أهلها ، ولما وردها عبيدالله بن زياد وقد سمع بخبر مسلم ودخوله في دار هاني بن عروة المرادي على ما شرح في السير ، وحصل شريك بن أعور بها جاء ابن زياد عائداً وقد كان شريك وافق مسلم بن عقيل على قتل ابن زياد عند حصوله لعيادة شريك وأمكنه ذلك ويسر له ، فما فعل واعتذر بعد فوت الامر الى شريك بأن قال : ذلك فتك

وان النبي صلى الله عليه وآله قال : ان الايمان قيد الفتك .

ولو كان فعل مسلم من قتل ابن زياد لما تمكن منه ووافقه عليه شريك ، بطل الامر ودخل الحسين عليه السلام الكوفة غير مدافـع وحسر كل أحد قناعه في نصرته ويجتمع له كل من كان في قلبه نصرته وظاهره مع أعدائه .

وقد كان مسلم بن عقيل أيضاً لمـا حبس ابن زياد هانئاً سار اليه في جماعة من أهـل الكوفة حتى حصره في قصره وأخذ بكظمه ، فأغلق ابن زياد الابواب دونه خوفاً وجبناً حتى بث الناس في كل وجه يرغبون الناس ويرهبونهم ويخذلونهم من نصرة ابن عقيل ، فتقاعدوا وتفرق أكثرهم حتى أمسى في شرذمـة وانصرف وكان من أمره ما كان .

وانما اردنا بذكر هذه الجملة ان أسباب الظفر بالعدو كانت لائحة وان الاتفاق السيء هو الذي عكس الامر وقلبه حتى تـم فيه ما تم . وقد هم أبو عبدالله عليه السلام لما عرف مقتل مسلم وأشير عليه بالعود، فوثب اليه بنو عقيل فقالوا والله لاننصرف حتى ندرك ثارنا أو نذوق ما ذاق أخونا، فقال عليه السلام لاخير في العيش بعد هؤلاء .

ثم لحقه الحر بن يزيد ومن معه من الرجال الذين أنفذهم ابن زياد ومنعه من الانصراف وسامه أن يقدم على ابن زياد نازلا على حكمه فامتنع ، ولما رأى أن لاسبيل الى العود ولا الى دخول الكوفة سلك طريق الشام سائـراً نحو يزيد بن معاوية لعلمه عليه السلام أنه على مابه أرأف من ابن زياد وأصحابه، فسار حتى قدم عليه ابن سعد في العسكر العظيم ، وكان من أمره ماقد ذكر وسطر ، فكيف يقال : أنه ألقى بيده الى التهلكة وقد روي أنه عليه السلام قال لعمر بن سعد :

«اختاروا مني اما الرجوع الى المكان الذي أتيت منه أو أن أضع يدي في يد يزيد فهو ابن عمي يرى في رأيه واما أن تسيروني الى ثغر من ثغور المسلمين فأكون رجلا من أهله لي مالهم وعلي ماعليهم وان عمر كتب الى عبيدالله بن زياد

بماسأل فأبى عليه وكاتب بالمناجزة وتمثل بالبيت المعروف :

الان اذ علقت مخالبنا بـه   يرجو النجاة ولات حين مناص

فلما رأى اقدام القوم وان الدين منبوذ وراء ظهورهم وعلم أنه ان دخل تحت حكم ابن زياد تعجل الذل والعار وآل الامر بعد الى القتل التجأ الى المحاربة والمدافعة لنفسه ، وكان من احدى الحسنيين اما الظفر واما الشهادة والمنيّة الكريمة .

وأما مخالفة ظنه لظن جميع من أشار عليه من النصحاء كابن عباس وغيره فالظنون قد تغلب بحسب الامارات وقد تقوى عند واحد وتضعف عند آخر ، ولعل ابن عباس لم يقف على ماكوتب به عليه السلام من الكوفة وماتردد في ذلك من المكاتبات والمراسلات والعهود والمواثيق. وهذه أمور تختلف أحوال الناس فيها ولايمكن الاشارة الى جملها دون تفصيلها .

أما محاربة الكثير بالنفر القليل: فقد بينا أن الضرورة دعت اليها وان الدين والحرم معاً مااقتضيا في هذه الحال الا مافعل، ولم يبذل ابن زياد لعنة الله عليه من الامان مايوثق بمثله وانما أراد اذلاله والغض من قدره بالنزول تحت حكمه ثم يفضي الامر بعد الذل الى ماجرى من اتلاف النفس، ولو أراد به عليه السلام الخير على وجه لايلحقه فيه تبعة من الطاغية يزيد لكان قد مكنه من التوجه نحوه واستظهر عليه بمن ينفذه لكن الترات البدرية والاحقاد النبوية ظهرت في هذه الاحوال .

وليس يمتنع أن يكون عليه السلام في تلك الحال يجوز أن يفيء اليه قوم ممن بايعه وعاهده ثم قعد عنه ويحملهم مايرون من صبره واستسلامه وقلة ناصره على الرجوع الى الحق ديناً أوحمية فقد فعل ذلك نفر منهم حتى قتلوا بين يديه شهداء ومثل هذا يطمع فيه ويتوقع في أحوال الشدة .

وأما الجمع بين فعله وفعل أخيه الحسن عليه السلام فواضح لان أخاه عليه السلام سلم كفاً

للفتنة وخوفاً على نفسه وأهله وشيعته واحساساً بالغدر من أصحابه ، والحسين عليه السلام لماقوي في ظنه النصرة ممن كاتبوه ووثق له ، فرأى من أسباب قوة نصار الحق وضعف نصار الباطل ماوجب معه عليه الطلب والخروج ، فلما انعكس ذلك وظهرت أمارات الغدر فيه وسوء الاتفاق دام الصلح والمكافة والتسليم كمافعل أخوه عليه السلام فمنع من ذلك وحيل بينه وبينه . فالحالان متفقان الا ان التسليم والمكافة عند ظهور أسباب المخوف لم يقبل منه عليه السلام ولم يجب الى الموادعة وطلب نفسه فمنع منها بجهد حتى مضى الى جنة الله ورضوانه» (تنزيه الانبياء ص١٧٩ الى ص١٨٢ تلخيص الشافي ج ٤ ص١٨٢ الى ص١٨٨ باختلاف يسير) .

مسامحات غير هينة أوكبوات مشحنة

المسامحة الاولى

قوله: « قد علمنا أن الامام متى غلب على ظنه أنه يصل الى حقه والقيام بما فوّض اليه بضرب من الفعل وجب عليه ذلك وان كان فيه ضرب من المشقة يتحمل مثلها تحملها » .

دفع ذلك

نقول أولا انه ليس لعالم مجتهد مهمابلغ في التبحر اصدار الفتوى على أحد من الائمة المعصومين عليهم السلام بأن يقول: يجب عليه هذا ويحرم عليه ذاك ، لعدم احاطته بالمصالح والمفاسد التي يحيط بها علم أحد الراسخين في العلم ، فمن أين يحق له أن يجري فتواه عليه ؟

ولو أنه مع غلبة الظن بأنه يصل الى حقه وجب عليه القيام لذلك فلم ترى أمير المؤمنين علياً عليه السلام مع انثيال الناس عليه بعد قتل عثمان يمتنع من قبول ذلك

أشد الامتناع فهل كان يريد بذلك ترك الواجب؟ حاشاه عن ذلك .

وأما الحسن عليه السلام فحدّث عنه ولا حرج، ودع عنك ذكر الظن بوصوله الى الحق بل كان حقه حاصلا له ، وكان سرير الخلافة تحت قدميه ولكنه يدفع ذلك عن نفسه . وانظر الى مولانا الحسين عليه السلام حين طلب منه الوليد مبايعة يزيد ولم يكن عند الوليد في ذلك الحين قوة عسكرية وكان مع الحسين عليه السلام في الوقت نفسه أسود من بني هاشم سوف يشاهد التاريخ مواقع سيوفهم في كربلاء وكان من المتيقن فضلا عن كونه مظنوناً أنه لو كان يقتل في ذلك الوقت الوليد ومروان كليهما لكانت تحصل له السيطرة على المدينة وماوالاها ثم ينبسط ظلها الى الحجاز كله وكان من المتيقن بعد ذلك خضوع العراق وايران واليمن جميعاً واجتماعهم تحت لوائه فلماذا ترك الواجب (على رأي السيد «ره») من القبض على الحكومة ولماذا ترك مقدمة هذا الواجب وهو قتل الوليد ومروان فهل نقبل رأي السيد فنقول ان الامام المعصوم ترك الواجب ، أونقول ان رأي السيد في هذا الباب ليس موافقاً للصواب وانه ليس القبض على الحكومة بأي نحو كان واجباً على الامام . ماذا تفتون في ذلك ياأولي الاحلام ! ؟

ثم انه لو كان السعي في نيل الخلافة واجباً على الامام فبعدما وصل الى مكة الى مدة ثلاثة أشهر مادام مكاتيب أهل الكوفة لم تصل اليه لماذا بقي ساكتاً ساكناً بالمرة ولو كان واجباً عليه فلماذا ينتظر أن يأتيه الطلب من الناس؟ ان كان واجباً عليه فليكتب هو الى أهل الكوفة والى غيرهم من أهالي البلدان ولماذا لم يجمع أهل مكة ومكة مثابة للناس يأتونها من كل فج عميق فلماذا لم يلق عليهم الخطب المهيجة ولماذا لم يخرج عامل يزيد على مكة منها ولم يستول عليها حتى يتسلط على جميع الحجاز ؟

اولا يستطيع مثل الحسين عليه السلام ما استطاعه مثل ابن الزبير على ضئالته تجاه

الحسين عليه السلام ولو قامت سلطته على الحجاز لكان يتبعه في ذلك العراق واليمن وغيرهما . أكان ذلك كله على رأي السيد تهاوناً في أداء الواجب ؟ ولما كتب اليه العراقيون لم لم يأمرهم بأن يخرجوا عامل يزيد من الكوفة وكان ذلك في اختبار عزيمتهم واجتماع أمرهم أكفى وأوفى من بعث مسلم اليهم وهل ينبغي للامام أن يكون في أداء الواجب منتظراً لطلب آخرين وحثهم اياه ؟ هلا هو يحثهم على ذلك ويسعى في أداء ماهو الواجب عليه ، وحين بعث مسلما اليهم لم لم يوعز اليه بأنه حيث يجتمع الناس اليه ويبايعونه، فأول ما يصنع هو اخراج عامل يزيد من الكوفة والاستيلاء عليها حتى يقدم الحسين عليه السلام الى الكوفة بعد دخولها تحت حكمه ؟ .

لو يرى أحد ان الهدف النهائي للحسين عليه السلام هو القبض على الخلافة وكان واجباً عليه فاما أن يقول انه طالما تهاون في أداء هذا الواجب أو يظن أنه أخطأ في ظنونه خطيئات متسلسلة لا تصدر عن آحاد العقلاء فضلا عن الامام الذي يجب أن يكون عقله فوق عقول عامة الناس .

أما نحن فتخطئة السيد في ارآئه على جلالة قدره في العلم أهون علينا من تخطئة الحسين عليه السلام فيما رآه رأياً هو بالحقيقة عين اليقين ولقد قيل :

« وظن الالمعي يقين »

فكيف بظن الرسل والائمة عليهم السلام فانه يقين لا محالة .

أجل . نحن نصدق السيد في قوله : ان أبا عبد الله عليه السلام لم يسر الى الكوفة الا بعد توثق من القوم وعهود وعقود ولكنه حين أحجم عن بيعة يزيد وهو حين ذلك بالمدينة حيث طلب منه الوليد ذلك فبأي توثق كان هذا وبأي عهود وعقود ومن المعلوم ان أصل النهضة الحسينية عبارة عن ذلك الانكار والاحجام وهو الذي كان موقعا له في خطر القتل ولو لم يسر الى الكوفة وأقام بالمدينة أو بمكة وقد أوعز الى

ذلك حين قال : «لو دخلت حجرضب لقتلونى» وقال حين خروجه من مكة : لان أقتل خارجا من مكة بشبر أحب الى من أن أقتل داخلا فيها بشبر » .

« معنى ذلك أنه مقتول لا محالة وانما الامر دائربين أن يكون ذلك خارجا من مكة أو داخلا فيها فاختار الخروج منها، وصارت دعوة أهل الكوفة سبباً للتوجه اليها، فالتوجه الى الكوفة حلقة ضمنية من نهضته التي انتهت الى قتله . لا أنها أصل النهضة ولا سببها والمسبب للقتل هو أصل النهضة لا الحلقة الاتية في ضمنها وهي التوجه الى الكوفة» فافهم واغتنم .

والسيد نفسه يقول: «قدكانت المكاتبة من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرائها تقدمت اليه » ومراده من ذلك قبل عشر سنين ، أي بعد وفاة الحسن عليه السلام .

فنقول : لو أن نهضته الان بسبب مكاتبة أهل الكوفة فلماذا لم يقبل دعوتهم من قبل ولم ينهض مع أن شمل أهل الكوفة اذ ذاك أجمع وعددهم أكثر وعدتهم للحرب أزيد وحماسهم أشد وأقوى من الان .

المسامحة الثانية

قوله : فلما مضى معاوية وأعادوا المكاتبة وبذلوا الطاعة وكرروا الطاب والرغبة ورأى عليه السلام من قوتهم على من كان يليهم في الحال من قبل يزيد وتسلحهم عليه وضعفه عنهم ما قوى في ظنه أن المسيرهو الواجب، تعين عليه فعله ولم يكن في حسابه أن القوم يغدر بعضهم ويضعف بعضهم عن نصرته ويتفق ما اتفق من الامور الطريفة الغريبة .

دفع ذلك

نقول : لو كان ضعف من كان يلي الكوفة في الحال من قبل يزيد هو الحافز لابي عبد الله عليه السلام على النهضة فكان قبل ذلك الوليد بن عتبة وهو الذي يلي المدينة

أضعف من الوالي على الكوفة من جهات عديدة : من جهة أنه لم يكن بالمدينة قوة عسكرية لحكومة الشام ، ولذا حين خلع أهل المدينة البيعة جاءت القوات من الشام لاخضاعهم، ومن جهة أنه لم يستتب ليزيد السلطة الى ذلك الحين .

فلو أن الحسين عليه السلام يستولي على الحكومة في ذلك الوقت لم يقم دونه أدنى قائمة تعارضه وهكذا عمرو بن سعيد الوالي على مكة كان أضعف من والي الكوفة بمراتب ومن الادلة على ذلك أنه حاول منع الحسين عليه السلام من الخروج من مكة فلم يستطع ، ومنها أنه قد استطاع عبد الله بن الزبير أن يستولي على الحكومة مع أن التاريخ ناطق جزماً بأن الحسين عليه السلام كان بمكة أعظم جاهاً وأقوى نفوذاً في كلمته من عبدالله بن الزبير، فاذا كان مثل ابن الزبير يستطيع التسيطر على الحجاز والعراق باستيلائه على مكة فلماذا لا يستطيعه الحسين عليه السلام ومع ذلك لم ينتهض.

ومن ذلك علمنا أنه لم يكن من شأنه الاستفادة من ضعف الحكومة ولم يكن ذلك من دأب أي امام من أئمتنا المعصومين فلم يستفد قبل ذلك علي عليه السلام من ضعف حكومة عثمان ولا استفاد بعد ذلك الصادقان عليهما السلام من ضعف الحكومة الاموية اذ ذاك وقد استفاد منه بنو العباس فكيف يستفيد الحسين عليه السلام الان من ضعف الوالي على العراق مع أن الكوفة منذ أول تأسيسها كان مركزاً مهماً من المراكز العسكرية للحكومة .

والشاهد على ذلك ان القوات العسكرية التي أحاطت بالحسين عليه السلام في كربلاء لم يكن فيهم شامي وانما كان كلهم أهل العراق على ما صرح به التاريخ .

وبذلك نعلم الخطأ في ما زعمه السيد «ره» من أنه عليه السلام رأى ضعف الوالي على الحكومة فقوى على ظنه أن المسير هو الواجب فكيف لم يقو ذلك على ظنه مع ما كان يرى من ضعف الوالي على المدينة ثم ضعف الوالي على مكة وقوى ظنه الان بما تراءى له من ضعف الوالي على العراق مع أنه لم يكن ضعفه بدرجة ضعف الاولين.

كيف نؤمن للسيد في قوله : ان الذين كاتبوه كانوا أقوى ممن على الكوفة من قبل يزيد والحال أن الوالي مستول على قصر الامارة وشيوخ القبائل ورؤساؤهم قاطبة أعناقهم تحت نير اطاعته . ومن المعلوم ان عامة رجال القبائل كلهم تابعون لرؤسائهم فكيف يرى الحسين عليه السلام ضعفه وقوة من كاتبوه .

نعم ان الذي يسجله التاريخ ان الوالي في الحال وهو النعمان بن بشير لم يكن من القساوة والفظاظة بحيث يهاجم مسلم بن عقيل الذي لايتعرض له ولذا بعث شيعة آل أبي سفيان الشكوى الى يزيد بأنه ضعيف أو يتضاعف ولم يكن هذا ضعفا من الوجهة العسكرية وانما كان ضعفا في القوة الارادية ناشئا من خور الطباع أو جنوح ما الى البيت النبوي أو خشية بالله سبحانه .

ثم لايخفى ان ايذان شيعة بني أمية بما آذنوا من ضعف النعمان أو تضاعفه وعزل يزيد للنعمان عن ولاية الكوفة ونصب عبيدالله بن زياد على هذا العمل وغدر جملة من أهل الكوفة وضعف بعضهم لم يكن شيء من ذلك خارجاً من الحسبان خارقاً لسياج العادة حتى يعد من الامور الطريفة الغريبة .

على أن أوساط الناس من أهل العقول العادية كانوا ملتفتين الى ذلك ويتنبؤن به على مسمع من الحسين عليه السلام فكيف الامام ولابد أن يكون عقله فوق عقول سائر الناس لايفهم ذلك حاشاه عن هذا ، مع أنه عليه السلام كما تقدم ذكره منا قد سجل لبعض صحة ما يقوله فقال : صدقت ونطقت بحق وتكلمت بعقل ولكن الله يفعل ما يشاء .

ومن ذلك يعلم ان شيئاً من تلك الامور لم يكن عنده عليه السلام من الامور الطريفة العجيبة وكان مطلعاً على جريان ما جرى تماماً ولكن كان نهوضه من أجل جهات اخر كانت الى ذلك الوقت في حجب الغيوب فلا يستطيع عامة الناس الاطلاع عليها والحكمة لاتقتضى الان رفع الستار عنها وهو معنى قوله عليه السلام : «شاء الله» أو

«قدر الله» فان مشيئة الله لا تكون بغير ميزان وتقديره لا يكون جزافاً . تعالى عن ذلك .

المسامحة الثالثة

يذكر السيد في بيان الامور الطريفة الغريبة ان مسلم بن عقيل لما دخل الكوفة أخذ البيعة على أكثر أهلها ولما ورد ابن زياد وقد سمع بخبر مسلم ودخوله في دار هاني بن عروة المرادي على ما شرح في السير وحصل شريك بن الاعور بها جاء ابن زياد عائداً وقد كان شريك وافق مسلم بن عقيل على قتل ابن زياد عند حصوله لعيادة شريك وأمكنه ذلك وتيسر له فما فعل واعتذر بعد فوات الامر الى شريك بأن قال : ذلك فتك وان النبي صلى الله عليه وآله قال : «ان الايمان قيد الفتك» . ولو كان فعل مسلم من قتل ابن زياد ما تمكن منه ووافقه عليه شريك لبطل الامر ودخل الحسين عليه السلام الكوفة غير مدافع وحسر كل أحد قناعه في نصرته واجتمع له كل من كان في قلبه ود لنصرته وظاهر على أعدائه .

النقد عليه

نقول : ما الميزان في كون سانح طريفاً غريباً ؟ لاشك ان الميزان هو أن يكون خارجاً عما هو مقتضي النظام العادي وحينئذ فلينظر ان الوالي الذي يتهاون في تتميم مرام الحكومة هل ان عزله خارج من العادة أم بقاؤه على عمله لو كان يكون أمراً خارقا للعادة؟ من الواضح كون عزله موافقاً للعادة ولو أبقي كان من الطريف الغريب .

ثم انه اذا عزل فالشخص الثاني الذي ينصب مكانه هل أن يكون مثله في التهاون يكون طريفاً عجيباً أم أن يكون صلباً في امضاء مهام الحكومة ؟

الجواب بطبع الحال أنه لما عزل الاول لتهاونه فالثاني لابد أن يكون صلباً

والا كان من الطريف العجيب .

ثم ان شريك بن الاعور وهو كان بحسب الظاهر في حواشي ابن زياد ولذا اصطحبه في رحلته الى الكوفة لو كان ينزل مع ابن زياد في بعض بيوت قصر الامارة أو عند أحد من رؤساء العشائر الذين كانوا من أتباع ابن زياد لما كان طريفاً ولا عجيباً ولكن كان نزوله عند هاني بن عروة من الاتفاقات الغريبة وهو لما كان بالبصرة الى حين التوجه الى الكوفة لم يكن مريضاً فاعتلاله بمجرد الوصول الى الكوفة والنزول على هاني بن عروة يصح أن يعد من الطرائف .

وبعد ذلك فعبيد الله بن زياد وهو متوزع البال بأمر الكوفة لو لم يأبه باعتلاله ولم يأت لعيادته ما كان ذلك من الامور الطريفة ولكن اتيانه مع تلك الشواغل لعيادة شريك يصح أن يعد من الطرائف الغريبة .

وفي آخر الامر ان مسلم بن عقيل وهو ربيب بيت الوحي وممن يثق به الامام المعصوم لو كان لا يعمل بحديث رسول الله ﷺ لكان طريفاً أم انه لما عمل بحديثه صلى الله عليه وآله وسلم كان من الطرائف العجائب ؟

يشهد كل ذي وجدان وشعور ديني أنه لو لم يعمل لكان من الغرائب وحيث عمل فلا غرابة فيه بل أنه حقيق وجدير بأن يعمل بحديث الرسول الامين ﷺ .

بالنظر الى كل هذه الاسألة التي قدمنا وماذكرناه من أجوبتها بحسب العقل والفطرة والوجدان تعلم أنه لو كان مسلم يقتل عبيد الله بن زياد كان من غرائب الاتفاقات فلا يمكن بمقتضى العلم العادي أن يكون ذلك في حسبان أحد من الناس من قبل حتى يظن ان نهضة الامام عليه السلام كان بالاعتماد على ذلك الامر الذي لم يقع وحيث أنه لم يقع فكان هذا الاتفاق النادر موجبا لاخفاق ظنه على مايظهر من بيان السيد « ره » .

ثم أنه لو كان عدم قتل مسلم لابن زياد بعد قدرته عليه عجيباً غريباً فعدم قتل

الحسين عليه السلام للوليد ومروان بالمدينة مع قدرته على ذلك يكون أعجب وأغرب.

ومن المعلوم أنه لو قتلهما عند ذلك لبطل أمر يزيد بالكلية ولتمكن الحسين عليه السلام على عرش السيطرة على الحجاز غير مدافع ولتهافت عليه أهل العراق وأهل اليمن وحسر كل أحد قناعه في نصرته واجتمع اليه كل من كان في قلبه ود لنصرته وظاهر على أعدائه.

بهذا ينبغي أن يعلم ان هؤلاء السادة كانت لهم خطط في أعمالهم تطابق مبادئهم لايعدونها ولاينتهزون الفرص للتشبث بأذيال الاتفاقات العجيبة، وليعلم أن للنهضة الحسينية لم تكن مبتنية على بروق خلابة من الاماني والامال الكاذبة والظنون التخمينية والمزاعم التي لاحظ لها من الحقيقة من كون الوالي على الكوفة ضعيفاً وكون المرسلين اليه الدعوة متسلحين عليه فقوى في ظنه أن المسير هو الواجب ولم يكن في حسابه ان القوم يغدر بعضهم ويضعف بعضهم عن نصرته ويتفق ما اتفق من الامور الطريفة الغريبة.

كيف قوى ظنه ذلك ولم يكن في حسابه هذا وقد كان كل ذلك في حساب رجال عاديين من عامة الناس ويلقونه الى أسماعه الشريفة ويقولون ان أهل الكوفة طالما غدروا وعسى يغدرون ويضعف بعضهم عن النصرة فلو كان شيء من ذلك طريفاً عجيباً فكيف تنبأ به هؤلاء الذين هم من أصحاب العقول المتوسطة وكما قدمنا لم يخطئهم الامام عليه السلام قط بل صرح بصدق بعضهم فلماذا يظن أحد ان الذي يتفطن له عامة الناس لايتفطن له الامام ؟

والحقيقة ان الذي وقع في أواخر سنة ٦٠ هـ وامتد الى سنة ٦١ لم يكن شيء منه طريفاً ولاعجيباً وانما العجيب أن لايتفطن مثل السيد المرتضى « ره » لان الائمة المعصومين انما يمشون على خطوط مرضاة الرحمن وليسوا على حذو السياسيين الزمنيين يستفيدون من الفرص السانحة بحسب الاتفاق من ضعف

العدو الان وقرته فيما بعد والا لم يبذل الحسين عليه السلام الماء لجيش الحر القادم لمعارضته بل كان يستفيد من ضعفهم الحالي الذي قد بلغ النهاية من شدة العطش فيها جمهم في هذه الحالة بمن معه من أسود الهيجاء فيقضي عليهم برمتهم حتى تستولي هيبته على القلوب ويدخل الكوفة ظافراً منتصراً واذا لم يستفد الحسين عليه السلام من ضعف عدوه وهو لا يستسيغ ذلك فلماذا يستفيد مسلم بن عقيل من وحدة ابن زياد حينما جاء لعيادة هاني وان عدم تفطن مثل السيد لهذه المعاني من أعجب العجائب.

المسامحة الرابعة

يقول السيد: انما أردنا بذكر هذه الجملة ان اسباب الظفر بالعدو كانت لائحة وان الانفاق السيء هو الذي عكس الامر وقلبه حتى تم فيه ما تم.

ونحن نقول:

غرضنا مما قدمنا ذكره انه لم يكن هناك أمر اتفاقي خارج من الحسبان بحيث لايشعر به الحسين عليه السلام مع أن سائر الناس وهم دونه في العقل والدراية يدرون كل ماهناك وقد صدقهم الحسين عليه السلام فيما أوعزوا اليه من العواقب، اذاً فنهضته عليه السلام كانت لمآرب سامية غير القبض على الحكومة والاستيلاء على المملكة الاسلامية من الوجهة المادية وهذا الذي كان دونه حواجز يصرح بها أهل العقول العادية فلا شك انها كانت في حيطة الامام أيضاً بحسب العلم العادي البشري فضلا عن العلم الوهبي الذي يستأثر الله بها الاصفياء من عباده والخاصة من أوليائه الراسخين في العلم.

المسامحة الخامسة

« قال وقد هم أبو عبدالله عليه السلام لما عرف بقتل مسلم وأشير عليه بالعود فوثب اليه بنو عقيل وقالوا: والله لانصرف حتى تدرك ثارنا أو نذوق ماذاق أخونا فقال عليه السلام: لاخير في العيش بعد هؤلاء ».

هذه المسامحة الواحدة تتضمن مسامحات عديدة

(١) لايتجه مما بايدينا من كتب الاخبار القول بأن الامام أباعبد الله عليه السلام هو هم بالعود ولكن أشار عليه بذلك بعض أصحابه من دون أن يستشيرهم فعارض الحسين عليه السلام رأيهم برأي آخر ناشيء من عاطفة وجدانية فنظـر الى بني عقيل يستكشفهم عما يكنونه في ضمائرهم فقالوا ذلك القول الذي ذكره .

(٢) ماكان هناك وثوب من أولاد عقيل وانما نظر اليهم الحسين عليه السلام يستثير خبيئة نفوسهم ، فقالوا عند ذلك ماقالوا .

(٣) لاشك أنه لو كان الحسين يرىء من الواجب عليه الرجوع والانصراف الى المدينة لماكان رأى من أولاد عقيل ليصرفه عن أداء الواجب عليه بل كان من الواجب عليه ردعهم وصرفهم عما هم عليه ومن ذلك لابد أن يفهم ان الحسين عليه السلام كان نظره موافقا لرأي أولاد عقيل وكان لايرى العود بمجرد هـذا الخبر الحاكي عن قتل مسلم بن عقيل .

وأمـا الرأي الذي أبداه بعض أصحابه فلم يكن نـاشئا من فكر وزوية وانما كانت بادرة بدرت منهم من الثائر بماسمعوا من قتل مسلم فأراد الامـام عليه السلام أن يعارض تأثرهم ذلك بتأثر آخر ضده ناشيء في أولاد عقيل من هذا الخبر ولكن بقاء الحسين على عزيمته لم يكن ناشئا من تأثر عاطفي وانما كان مبتنياً على مصالح سامية لم يكن لعامة الناس في ذلك الوقت سبيل الى ادراكها والا فمن المعلـوم ان حياة الامام القيمة وحياة أولاده وأقاربه ومن معه من انصاره الذين كانوا مثل الحياة الاسلامية في ذلك الوقت لم تكـن جديرة بأن تذهب ضحية لعاطفة أولاد عقيل فحسب .

ماذا يقول السيد في هذا الباب وماذا يقول المنصفون ، أولو الشعور الديني؟

المسامحة السادسة وهى طريفة

يقول : ثم لحقه الحر بن يزيد ومن معه من الرجال الذين أنفذهم ابـن زياد ومنعه من الانصراف .

ياللعجب !

قدسمعنا السيدآنفاًيقول: أنه لماهم بالعود وثب اليه بنو عقيل فقال الحسين عليه السلام لاخير فـي العيش بعد هـؤلاء ومعنى ذلك أنـه بعد وثوب أولاد عقيل وقـولهم مـاقالوا عدل عن ارادة الانصراف ونسمع منه الان ان الحر بـن يزيد منعه مـن الانصراف ويفهم منه انه كان قبل ذلك عازماً على الانصراف ولكن الحر منعه من ذلك .

أليس هذا من التناقض الصريح والتهافت البين ؟

المسامحة السابعة وهى مفجعة مؤلمة

قوله : (وياليته لم يقل) فلما رأى أن لاسبيل الى العود ولا الى دخوله الكوفة سلك طريق الشام سائراً نحو يزيد بن معاوية لعلمه عليه السلام بأنه على مابه أرأف من ابن زياد وأصحابه فسار حتى قدم عليه عمر بن سعد في العسكر العظيم وكان من أمره ماقد ذكر وسطر .

دفعها والكشف عما فيها

ليس فيما بين أيـدينا مـن التواريـخ دليل على أنـه عليه السلام سلك طريق الشام وانما الذي هو ماثل في العيان أنه لما قال الحر اني بعثت لاذهب بك الى عبيدالله ابن زياد واستنكف عليه السلام عن ذلك وأبى الحر أن يتركه للعود الى الحجاز وكاد أن تترك السيوف أغمادها ، قال الحر : اني ماأمرت بحربك فالان حيث لاترضى بالسير معي الى الكوفة ولايمكنني أن أدعك ترجع الى الحجاز فخذ طريقاً وسطا

لاينتهي الى الكوفة ولايوصل الى الحجاز فسر في هذا الطريق الى أن أكتب الى ابن زياد وانت ان شئت فاكتب الى يزيد .

فرضي عليه السلام لما عرض عليه الحر من النصف فأخذ هذا الطريق الذي انتهى الى كربلاء فلو كان الحسين عليه السلام آخذاً طريق الشام فلماذا يقول الحر: وان شئت فاكتب الى يزيد ؟

ومن المعجب بل المؤسف أن يقول عالم جليل مثل السيد«ره»ان يزيد على مابه ارأف بالحسين عليه السلام من ابن زياد وأصحابه مع أن الحقيقة الراهنة في التاريخ ان يزيد عزل كل وال جامل الحسين على نحو ما أو خفف وطأة الظلم عنه مثل وليد ابن عتبة بن أبي سفيان الذي أشار عليه مروان حين كان الحسين عليه السلام في داره وتأخر عن مبايعة يزيد أن يضرب عنقه فلم يفعل ولما عاتبه مروان على ذلك قال: أشرتني بما فيه هلاك ديني ان الذي يلقى الله سبحانه بدم الحسين لخفيف الميزان يوم القيمة فوصلت النميمة بذلك الى يزيد فعزله عن ولاية المدينة .

وكذلك النعمان بن بشير لما هاجه أولياء يزيد على أن يهاجم مسلم بن عقيل فقال : لاأحارب الامن حاربني، معناه أني لااستسيغ الفتك به أوزجه الى السجن مالم يصنع صنعا يفت بعضد النظام وأمن البلدة، فنم بذلك الى يزيد فعزل النعمان عن ولاية الكوفة .

لماذا عزله ؟ لانه لم يقتل مسلم بن عقيل ، ولكن عبيدالله بن زياد الذى قتل مسلما بتلك القساوة العظيمة ثم قتل أبا عبدالله الحسين عليه السلام ومن معه حتى الاطفال ونهب خيام آل الرسول صلى الله عليه وآله وساق عقائل بيت النبوة سبايا لم يعزله يزيد الى آخر نفس من حياته بل زاد منزلته لديه ورقى مكانته عنده فكيف يسوغ مع ذلك أن يقول قائل ان يزيد كان أرأف بالحسين بن علي عليهما السلام من ابن زياد ؟

أي جريمة اجترمها ابن زياد ولم يرض بها يزيد أو لم يرتكب مثلها حتى أن ابن زياد نكت ثغر الحسين عليه السلام بالقضيب فصاح عليه زيد بن أرقم ، وهكذا ثناه

يزيد وأتى بهذا العمل الشنيع فقام عليه بالنكير أبو برزة الاسلمي على رواية وعلى أخرى أنس بن مالك ، فكيف يظن او يتوهم بعد ذلك أن يزيد كان أرأف بالحسين عليه السلام من ابن زياد ؟

المسامحة الثامنة وهي ادهى وامر

لم يقف السيد (ره) على هذا الحد و كفى به عندنا حطاً لمقام سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام بل جاوز ذلك بأن قال : « قد روي أنه عليه السلام قال لعمر بن سعد اختاروا مني: اما الرجوع الى المكان الذي أتيت منه أو أن أضع يدي في يد يزيد فهو ابن عمي يرى في رأيه» .

سبحانك هذا بهتان عظيم هي فرية افتراها أولياء بني سفيان ، وقد كشف الستار عن بطلانها مولى من موالي ذلك البيت الطاهر بيت أهل البيت وهو عقبة بن سمعان مولى السيدة رباب زوج أبي عبدالله الحسين عليه السلام فقال : اني لم أفارق مولاي الحسين عليه السلام في حين من الاحيان فانا أشهد أنه لم ينبس شفتاه بهذه الكلمة ولم يقل أنه يسير الى يزيد ويضع يده بيده .

نعم قال: أسير الى ثغر من الثغور فأكون واحداً من المسلمين وقد أورد الخريت الماهر في التاريخ وهو من العامة الحافظ ابن جرير الطبرى هذا الرد في تاريخه الكبير فدفن تلك الفرية في رمس الأخبار الموضوعة وهذا سيدنا رئيس الخاصة جاء ينبش تلك الفرية المشئومة عن رمسها وآض ينفخ فيها حتى تتمثل جسداً له خوار فاعتبروا ياأولي الابصار ، وانالله وانا اليه راجعون .

المسامحة التاسعة

قوله : وأما مخالفة ظنه لظن جميع من أشار عليه من النصحاء كابن عباس وغيره فالظنون انما تغلب بحسب الامارات وقد تقوى عند واحد وتضعف عند آخر

ولعل ابن عباس لم يقف على ماكوتب به عليه السلام من الكوفة وماتردد في ذلك من المكاتبات والمراسلات والعهود والمواثيق، وهذه أمور تختلف احوال الناس فيها ولايمكن الاشارة الى جملها دون تفصيلها .

دحض ذلك

أولا : كما قلنا في الرد على المورد قبل ذلك : أنه لادليل على أن ظنه كان مخالفا لظن جميع من أشار اليه من النصحاء كابن عباس وغيره لانه عليه السلام لم يخطئهم فيما أبدوه من ظنونهم قط ، بل قال لبعضهم : صدقت وتكلمت بعقل ، ولكنه قال: « ان الله يفعل مايشاء » أو « شاء كذلك » أو نحوه ، فكيف يقال بعد ذلك ان ظنه كان مخالفاً لظن اولئك النصحاء .

وثانياً نقول : ماذا كانت الامارات التي أفادت لهم الظن وبقيت خافية على الحسين عليه السلام وماذا كانت الامارات التي حصل منها للحسين الظن بخلافه وكانت لايعلمها أولئك النصحاء ، وأما المكاتبات والمراسلات فيما بين الامام وبين أهل الكوفة فلم تكن في ستار الخفاء ، ومن الأمثال السائرة : «كل سر جاوز الاثنين شاع » فكيف بالمكاتبات التي يبلغ عددها المآت، فكيف يظن أو يتوهم انها كانت من الاسرار التي لايدريها مثل عبدالله بن عباس وأضرابه .

ولئن نؤمن للسيد « ره » في قوله ان ظنه عليه السلام كان مخالفاً لظنونهم ولاشك أنه انكشف بماوقع فيمابعد أن ظنونهم كانت مصيبة للواقع فلازم ذلك على ذلك التقدير التجري على القول بأن ظنه عليه السلام كان مخطئاً عن هدف الحقيقة .

ولاندري وكيف ندري أن السيد يرى ذلك مناسباً لشأن الامام عليه السلام ولكنا حيث نعتقد ماهو الحق من أن عقل الامام لابد أن يكون فوق عقول سائر البشر فلا يمكننا أن نفوه بذلك أونقبله من أحد .

المسامحة العاشرة

يقول في أمر ابن زياد : لو أراد به عليه السلام الخير على وجه لايلحقه فيه تبعة من الطاغية يزيد لكان قد مكنه من التوجه الى يزيد واستظهر عليه بمن ينفذه لكن الترات اليدوية والاحقاد النبوية ظهرت في هذه الاحوال .

نقول

بعدماكان سيدنا وصف يزيد قبل هذا بأنه كان أرأف بالحسين عليه السلام من ابن زياد وأصحابه فلماذا يتذكر الان أحقاداً بدرية وترات أموية أحدية، وهل كان ابن زياد الذي لايمت بحسب الحقيقة الى شيوخ بدر بنسب أكثر من يزيد الذي تذكر بنفسه تلك الترات وشيوخه من أهل بدر حيث قال :

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الاسل

(الى آخر الابيات)

المسامحة الحادية عشر

يقول: «ليس يمتنع أن يكون عليه السلام في تلك الحال يجوز أن يفيىء اليه قوم ممن بايعه وعاهده ثم قعد عنه ويحملهم مايرون من صبره واستسلامه وقلة ناصره على الرجوع الى الحق ديناً أوحمية، فقد فعل ذلك نفر منهم قتلوا بين يديه شهداء ومثل هذا يطمع فيه ويتوقع في أحوال الشدة» .

نقول :

لوكانت النهضة الحسينية منوطة بلحوق قوم اليه لينصروه فلماذا مهد السبيل لجماعة ممن لحقوا به في أثناء الطريق للانفصال عنه والتفرق يميناً وشمالا بعد وصول نبأ مسلم بن عقيل وهاني ولماذا ألقى خطبته في ليلة عاشوراء بين

أصحابه الذين كانوا قد بقوا عنده أن يتخذوا الليل جملا ويفارقوه، حتى أقربائه من بني هاشم .

ثم ان للسيد «ره» حيث لايرى للتضحية قيمة ويرى شهادة الشهداء خسارا على الاسلام والمسلمين فلماذا يسوغ أن يأمل الحسين عليه السلام أن يفيىء اليه قوم ممن بايعه لانه لوفرض أن يلحق به فئة فانهم لايستطيعون دفع القتل عنه أو أن يهزموا جنود ابن زياد فلم تكن نتيجة ذلك الا أن يزداد عدد الشهداء على من معه وبذلك تزداد الخسارة على الاسلام والمسلمين .

كما أن لازم ذلك على رأيه ان الذين استشهدوا بين يديه لم يعملوا عملا صالحاً اذ زادوا عدد الشهداء وزادوا بذلك الخسران. ولاأحسب السيد « ره » يلتزم بهذه اللوازم ولكن الخطأ يجر الى الخطأ ، والله العاصم وبيده التوفيق .

المسامحة الثانية عشر

قوله: أما الجمع بين فعله وفعل أخيه الحسن عليه السلام ، فواضح لان أخاه عليه السلام سلم كفاً للفتنة وخوفاً على نفسه وشيعته واحساساً بالغدر من أصحابه ، والحسين عليه السلام لماقوى في ظنه النصرة ممن كاتبه ووثق له فرأى من أسباب قوة نصار الحق وضعف نصار الباطل ماوجب معه عليه الطلب والخروج. فلما انعكس ذلك وظهرت أمارات الغدر فيه وسوء الاتفاق رام الرجوع والمكافة والتسليم كما فعل أخوه عليه السلام فمنع من ذلك وحيل بينه وبينه .

وجوه من الفساد

أولا: اطلاقه لفظة « الفتنة » على جهاد المحق للمبطل لايلائم روح الحقيقة وليس ذلك الا مضاهئة لبعض من قعد عن نصرة علي عليه السلام في مقاتلاته للناكثين والقاسطين والمارقين بزعم انهم يحبون الاعتزال عن الفتن كما أن مؤلفي

العامة يعقدون لهذه المحاربات عنوان « باب ذكر الفتن » ولاينبغي أن يكون من دأب العارفين للحق .

وثانياً : انه هل كان خوف الحسن عليه السلام على نفسه وأهله وشيعته أشد من خوف الحسين عليه السلام، وقد جاء انه لما خرج من المدينة كان يتلو قوله سبحانه: ﴿ فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾ وكم كان يتذكر يحيى عليه السلام واهداء رأسه الى طاغوت زمانه وهو دليل على خوف على نفسه لايقاس به خوف الحسن عليه السلام .

وثالثاً: ان أكثر أصحاب الحسن عليه السلام أمثال حجر بن عدي وقيس بن سعد بن عبادة وأضرابهما لم يظهر منهم أي غدر بل كانوا مصرين على ادامة الحرب .

ورابعاً : ان ظهور الغدر عن بعض لايوجب للامام رفع اليد عما هو الواجب عليه . أليس النبي صلى الله عليه وآله قد ظهر الغدر من بعض أصحابه وكذا أمير المؤمنين علي عليه السلام ألم يظهر الغدر من كثير من أصحابه ؟ ومع ذلك لم يعتزلا عما هو وظيفتهما من جهة النبوة والامامة وكان عدد أنصار الحسن عليه السلام أكثر من عدد أنصار أبي عبدالله الحسين عليه السلام .

وخامسا : ان الحسين عليه السلام في محادثاته مع الذين كانوا يظهرون عدم الثقة بمواعيد أهل الكوفة حتى قال بعضهم: ان قلوبهم معك وسيوفهم غداً مع بني أمية، لم يقل انه يقوى في ظني انهم ينصرونني وأنا أثق بهم وان أنصاري أقوياء وأعدائي ضعفاء، بل انه عليه السلام في مطاوي كلامه كان يصدقهم في عدم الثقة بهم ومع ذلك كان يتظاهر ببقائه على عزيمته في الخروج الى الكوفة معتمداً على الله وانجازاً لما يشاء الله ونحو ذلك .

ومعنى ذلك كما قدمنا ان خروجه ذلك مبتن على مصالح خفية لايكاد يدركها أصحاب الانظار السطحية .

وسادساً : انه بعدماظهرت أمارات الغدر بقتل مسلم لم يعزم الامام عليه السلام على الرجوع بل لم يزل قائماً على ذلك السبيل حتى أقبل الحر بن يزيد مع خميس لابن زياد وأراد أن يذهب به قسراً الى الكوفة فامتنع منه وعندذلك أراد الانصراف حيث لايستسيغ الذهاب محاطاً بجند الحكومة وحينئذ حال الحر بينه وبين مايروم من الانصراف فالتجأ الى طريق أدى الى كربلاء .

زبدة المخض أونتيجة البحث

نوافق السيد المرتضى « ره » في أن الخطة العملية لكلا الامامين واحدة ، ولكن لانواتيه على ماقرره في ايضاحه بل نوجهه بمابسطناه في كتابنا هذا وتلخيصه أن الحسن عليه السلام كانت الصورة الواقعة تجاهه ان معاوية أرسل اليه يطلب منه الصلح على مايشترطه الحسن عليه السلام عليه ، وقد تسنى له بذلك عرض شرائط تنتج تعزيز دين الله وتخفيف وطأة الظلم على عباد الله .

فأول مااشترط عليه أن معاوية بن أبي سفيان يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وبذلك كبح جماح السلطة الاموية فهو لم يتقيد باطاعة معاوية بل قيد معاوية باغلال الشريعة وأما الحسين عليه السلام فقد طلب منه يزيد المبايعة له ومعناه أن يعتنق الحسين عليه السلام قلادة اطاعته المطلقة وهو هو في معصية الله سبحانه وهذا لوعرض على الحسن عليه السلام لكان ينبذه ويأباه كما أبى الحسين عليه السلام وماقبله الحسن عليه السلام فقد قبله معه أخوه الحسين عليه السلام أيضاً وبقي مستمسكاً به طيلة عشر سنين مع أخيه وعشر سنين أخر بعد وفاة أخيه ، ولوتسنى له اليوم أيضاً مثله في قبال يزيد لكان يقبله كماقبل مثله أخوه الحسن عليه السلام .

فخطتهما في الصلح والحرب واحدة لاخلاف فيهمابينهما أصلا .

والسلام خير ختام .

قد تـم على يد أضعف عباد الله القوي علي نقـي النقوي ١٨ ذي الحجة سنة ١٤٠٠هـ (في بلدة على گره ـ الهند)

تم طبع الكتاب برعاية السيد خادم رضا الرضوي وباشراف محمد الداوري مدير (مكتبة الداوري بقم) في تاريخ ٢٠ ربيع المولود من سنة ١٤٠٩ هـ .

فهرست الكتاب

المقدمة بقلم آية الله السيد أحمد الحسيني الشهرستاني	٣
توطئة وتمهيد	٧
النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله) في موقفي قعوده وقيامه	٩
أمير المؤمنين عليه السلام في موقفي قعوده وقيامه	١٣
الحسنان لهما اسوة في سلفيهما	١٦
تكملة مهمة في دفع مانقله السيد المرتضى ونقد جوابه	٥٠
ماأجاب به السيد المرتضى والايراد عليه	٥٧
مسامحات غيرهينة المسامحة الاولى ودفعه	٦٠
المسامحة الثانية ودفعه	٦٣
المسامحة الثالثة والنقد عليه	٦٦
المسامحة الرابعة ورده	٦٩
المسامحة الخامسة وهي تتضمن مسامحات عديدة	٦٩
المسامحة السادسة وهي طريفة	٧١
المسامحة السابعة وهي مفجعة ومؤلمة	٧١
المسامحة الثامنة وهي أدهى وأمر	٧٣
المسامحة التاسعة	٧٣
المسامحة الحادية عشرة	٧٥
المسامحة الثانية عشرة	٧٦
وجوه من الفساد	٧٦
زبدة المخض أونتيجة البحث	٧٨

3909

VETUS & TESTAMENTUM NOVUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
NOV. - DEC. 1993
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 058247691